www.kassiounpaper.com

768

الاحد 24 تموز 2016

حزب الإرادة الشعبية

كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

www.kassiounpaper.com

اسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org

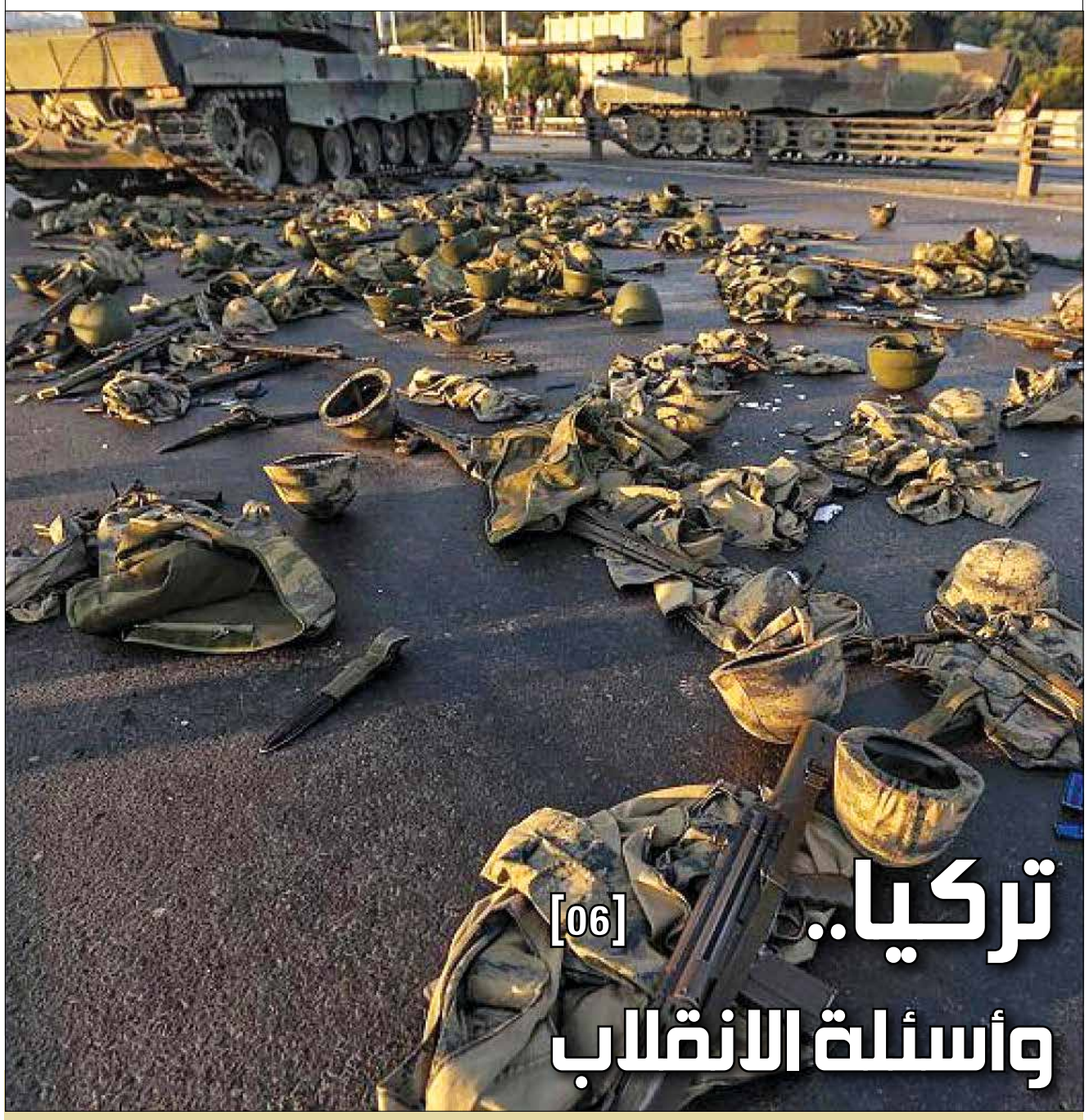

تركيا.. وأسئلة الانقلاب [06]

الافتتاحية

«متغيرات ثقيلة»^{2}..!

تسمح التطورات الأخيرة بالحديث عن «متغيرات ثقيلة» كتلك التي عرضتها «قاسيون» في افتتاحيتها الموقعة بتاريخ الثالث من الشهر الجاري، ولكنها هذه المرة تغييرات مرفوعة للتربيع، إذا ما استخدمنا لغة الرياضيات.

إنّ الأسابيع الثلاثة التي تلت عرض تلك المتغيرات في حينه، لم تثبت طابعها وحجمها فحسب، بل وأكدت أن السرعة التي تسير وفقها التطورات أكبر من مختلف التوقعات، بما فيها الأكثر تفاؤلاً:

فعملية فصل الإرهابيين عن غير الإرهابيين، استناداً إلى الموقف من الحل السياسي، واستناداً إلى الممارسة الفعلية، والتي بقيت مستعصية طويلاً بفعل مماطلة واشنطن، قد بدأت تقطع خطوات واسعة نحو الأمام، بفعل الضغط الروسي السياسي على واشنطن، بالتوازي مع تشديد الروس حربهم على الإرهاب بالمعنى العسكري. وترافق ذلك باستكمال الطوق العسكري حول حلب، والذي يشكل أحد تعبيرات استمرار اختلال التوازن الدولي في غير الصالح الأمريكي، وبما يشكل انعكاساً مباشراً لتقلص الدور التركي في سورية، سواء مع بداية استدارتها التي ظهرت مع اعتذار أردوغان، وبعده، ومع محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا. كما يترافق ذلك مع استمرار تراجع داعش في العراق..

إنّ ما جرى في تركيا حتى الآن، يثبت حقيقة أن دورها السلبي والمعيق لحل الأزمة السورية، ذاهب إلى تلاش سريع جداً، لا لأن أردوغان يريد ذلك أو لا يريده، أو أنه «عاد إلى صوابه»، بل لأنّ تركيا بوضعها الحالي لم تعد قادرة على ممارسة دور إقليمي جدي، سلباً كان أم إيجاباً، وستكون المهمة الكبرى الراهنة أمام مختلف القوى التركية، لا الحفاظ على دور بلادهم الإقليمي، بل منع تفجرها والعمل للحفاظ على وحدتها الجيوسياسية، ووجودها!

في المسألة ذاتها، وفي قراءة لبعدها الدولي، فإنّ الأزمة التركية إذ تشكل إحدى التعبيرات عن الأزمة الأمريكية نفسها، فإنها تشكل أيضاً إحدى مقدمات تفكك حلف الناتو، علماً بأن تركيا هي ثاني أكبر قوة عسكرية فيه، وهو الأمر الذي لا يخرج عن سياق التراجع العام للمنظومة الغربية، ويتلاقى بذلك مع اتجاه تحللها وتفككها، سواء بمؤسساتها المالية والاقتصادية، صندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية، التي تخضع بتسارع عالٍ لضغط الصين وحلفائها الذي يتركز على الدولار وهيمنته بشكل خاص، أو بمؤسساتها السياسية- الاقتصادية وعلى رأسها الاتحاد الأوروبي. ويبدو أن الأحداث الإرهابية المتنقلة في غير مكان في أوربا والعالم لا تخرج هي الأخرى عن السياق العام لمحاولات الفاشية الجديدة، بمركزها الأمريكي، معاقبة كل من يشق عصا الطاعة الأمريكية، أو يفكر بذلك. ولكن هذه المحاولات من شأنها تسريع عملية الخروج عن الطاعة الأمريكية لأنها تضع هذه البلدان أمام خيارات ضيقة، فإما البقاء مع الأمريكي والاحتراق الكامل كرمى لدولاره، أو الخروج من تحت سيطرته، وإن بتكاليف باهظة، تحفظ وجود هذه البلدان في نهاية المطاف.

وفي شأن الحل السياسي السوري، سيشهد يوما 26-27 من الجاري، اجتماعاً ثلاثياً في جنيف، روسياً- أمريكياً- دولياً، يعقب اجتماعات خبراء روس وأمريكيين، لدفع الحل قدماً.. ومن المرجح وفقاً للإشارات الدولية المختلفة، أن يعقب الاجتماع، وضمن أجل غير طويل، انعقاد جولة أخرى من مفاوضات جنيف3، التي ربما تكون نهائية، ليليها بدء تطبيق الحل السياسي على الأرض السورية.

شؤون محلية

حرائق الغاب مستمرة.. وتستعر

09

شؤون محلية

رغيف الخبز حسب الولاءات

10

شؤون اقتصادية

الدَين الداخلي.. «... بطل العجب!!»

14

شؤون عربية ودولية

فرنسا تعترف: مدانون بالازدواجية..!

18

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

المرصد العمالي انطلق ماذا بعد؟

افتتح يوم الخميس 2016/7/21 المرصد العمالي للدراسات والبحوث بحضور عدد من الأكاديميين ومسؤولي المراكز البحثية، الذين أدلوا بدلوهم حول أهمية الإعلان عن قيام مركز للدراسات والبحوث العمالية مستعرضين لتجاربهم مع مراكزهم التي يعملون بها، ومصير الدراسات التي قدموها للجهات المعنية.

الإعلان عن بدء عمل المرصد العمالي خطوة متقدمة ومهمه على صعيد تسليح الحركة النقابية بالمؤشرات الضرورية الاقتصادية والاجتماعية، وفي مقدمتها مؤشرات الأسعار بعلاقتها بمستوى الأجور، وهذا له أهميه من أجل صياغة الموقف النقابي المدافع عن أجور تؤمن المستوى المعيشي الذي يحفظ كرامة الطبقة العاملة، باعتبارها هي المنتج الحقيقي للثروة، ونصيبها من هذه الثروة المنتجة لا يؤمن لها كفاف عيشها اليومي، أي أن الطبقة العاملة محرومة من أبسط حقوقها، وهو مقدرتها على تجديد قوة عملها، ومع هذا يطالبونها بشد الأحزمة أكثر وتحمل تبعات الأزمة، والمفترض أن يتحمل تبعات الأزمة الجميع بشكل متساو.

لقد أشار ملقي الكلمات جميعهم إلى أهمية الأرقام التي تنتجها الدراسات، والأرقام عادة لها مدلول اقتصادي وسياسي، وليست أرقام مجردة وبناء عليها يتحدد الموقف، والموقف المفترض أن يُحدد هو المعبر عن مصلحة الاقتصاد الوطني والطبقة العاملة، قد وضع له إطاراً مسبقاً وهو استمرار الشراكة بين الحركة النقابية والحكومة، والكل يعلم أن السياسات الاقتصادية الليبرالية التي تنتهجها الحكومات المتعاقبة منذ عقود هي المسؤولة عن التدهور الحاصل للاقتصاد الوطني، وخاصة في مجال الإنتاج الحقيقي «الصناعي–الزراعي» الذي تشير معظم الدراسات، بما فيها الحكومية، إلى تراجع مساهمته في الناتج المحلي بشكل حاد، وبالتالي انعكاس ذلك على المصلحة الحقيقية للطبقة العاملة من حيث أجورها ومستوى معيشتها، التي لا يخلو تقرير نقابي من الإشارة إليه وخاصةً الرؤية الاقتصادية التي قدمتها النقابات بالفترة الأخيرة، والتي فيها إشارة واضحة لدور السياسات الاقتصادية فيما هو جار من تدهور حاصل بالاقتصاد والمستوى المعيشي للعمال.

لقد أشار بعض المداخلين إلى وجود مراكز للدراسات والبحوث تابعة للنقابات في معظم الدول الأوربية، والنقابات في هذه الدول تستند إلى الدراسات المنتجة عندها من أجل صياغة مواقفها من سياسات حكوماتها، وعنصر الضغط الأساسي الذي يمكنها من الدفاع عن المصالح والحقوق العمالية هو الطبقة العاملة، وقدرتها على الدفاع عن مصالحها وحقوقها، ومنها حقها في الإضراب في هذه البلدان، أي أن الموقف النقابي يصاغ ويتخذ على أساس توفر عاملين أساسيين؛ القاعدة المعرفية، والتنظيم العمالي المستجيب للمواقف النضالية المنسجمة مع مصالح العمال الأساسية.

وهنا يطرح سؤال أساسي وهو: كيف سيحل التناقض بين الشراكة مع الحكومة في قراراتها كلها، وبين الدفاع عن مصالح وحقوق الطبقة العاملة؟ سؤال برسم المرصد العمالي.

ساعات عمل مجانية

يظن الكثيرون بأن ازدياد ساعات انقطاع الكهرباء عن المنشآت الإنتاجية في القطاع الخاص تضر بعملية الإنتاج والمردود الربحي لصاحب العمل دوناً عن العمال، وبقليل من الاطلاع الميداني على هذه المنشآت سنكتشف تضرر العمال بشكل مباشر.

■ أبو الوفا

الكهرباء مقننة والمحروقات بالعالي

لقد قامت الحكومات السابقة، خلال سنوات الأزمة وما قبلها، بسلسة متتالية من قرارات اقتصادية أدت لرفع أسعار استجرار التيار الكهربائي على المشتركين، وخاصة على شرائح التجاري والصناعي، مترافقة مع قرارات أخرى أكثر سوءاً نتج عنها ارتفاعاً تلو الآخر لأسعار المحروقات من مازوت وبنزين وفيول، مما رفع تكلفة الإنتاج على الصناعيين المنتجين كافة، الكبار منهم والصغار، ففي حين تعتمد المنشآت الكبيرة على التيار الحكومي المقنن ومولدات الطاقة العاملة على الفيول أو المازوت، تلجأ المعامل الصغير والورش والمشاغل لمولدات الطاقة العاملة على البنزين في ساعات التقنين.

الصناعيون الكبار يتكيفون

بعد القرار الحكومي الأخير «لحد الآن» الذي ارتفعت بموجبه أسعار المحروقات بشكل عام طال بتداعياته القطاع الصناعي، خاصة أنها ترافقت مع زيادة ساعات التقنين في أغلب المناطق التي يتواجد فيها هذا القطاع، وإن كانت قدرة المنشآت الكبرى والمعامل الكبيرة على التكيف مع الوضع المتجدد عالية، فإن أصحاب المعامل المتوسطة والصغيرة غير قادرين على ذلك فمقدار إنتاجية منشآتهم ومردودها المحدود لن يسمح لهم بتحمل ارتفاع نسبة تكاليف الإنتاج سوى لنسبة معينة، لذلك فلا أحد يستطيع أن يقنع هؤلاء بالتنازل عن جزء صغير من أرباحهم، فيلجؤون لحلول أخرى يتحمل العمال وحدهم أعباءها.

خلال الفترة الماضية ازدادت ساعات التقنين الكهربائي، فذهب الكثير من أرباب العمل لخيار التوفير المادي للتكلفة على أكتاف عمالهم

ساعات العمل ... محدودة

يتمتع العمال في القطاع الخاص بحقهم بتحديد ساعات العمل وفق القانون، ورغم ذلك لا يلتزم أصحاب العمل بنص القانون، بل يقومون بإضافة ساعة أو ساعتين يومياً بطرقهم الخاصة، وما أكثرها، في حين ترتفع ساعات العمل أكثر في القطاع الخاص غير المنظم، فأغلب عمال هذا القطاع يشتغلون 12 ساعة يومياً، وتحدد أجرهم على أساسها، فإذا افترضنا بأن أجرة عامل يعمل 12 ساعة في اليوم يبلغ 1500 ليرة يومياً، فإن ساعة العمل الواحدة تكون 125 ليرة، وعلى هذا الأساس يتم حساب مبلغ الخصم من الأجر إذا ما تغيب العامل أو تأخر، وكذلك على ساعات العمل الإضافي التي يعملها.

توفير على حساب العمال

خلال الفترة الماضية ازدادت ساعات التقنين الكهربائي، فذهب الكثير من أرباب العمل لخيار التوفير المادي للتكلفة على أكتاف عمالهم، حيث أنهم لا يقومون بتشغيل المولدات الخاصة العاملة على المازوت أو البنزين سوى لفترة تقنين واحدة، فيما يتوقفون عن التشغيل خلال الفترة الثانية، والتي غالباً ما تستمر لثلاث ساعات متتالية، وليتركوا عمالهم بين خيارين: إما الذهاب للمنزل والعودة عند عودة التيار الكهربائي، أو البقاء في المعمل أو المشغل ريثما تنتهي فترة التقنين، على ألا تحسب ساعات التقنين ساعات عمل مما يجعل العمال أمام خيارين: إما أن يكتفوا بتسع ساعات عمل وبالتالي بأجرة هذه الساعات، أو أنهم سيمكثون في المعمل ثلاثة ساعات إضافية كي يصبح دوامهم 15 ساعة تحسب لهم 12 ساعة عمل ويحصلون على أجرهم المعتاد، فالذهاب للمنزل للاستراحة والعودة بعد انتهاء ساعات التقنين تحمل مشقة المواصلات وكلفتها التي لا ترحم، مما يجعلهم يفضلون خيار الانتظار ثلاث ساعات دون أجر، بعيدين عن عائلاتهم لأكثر من نصف نهار ويزيد.

ليس أسوأ من تصرف أرباب الأعمال في هذا الموضوع سوى قرارات الحكومة العبثية، التي لا تعمل على دعم القطاع الإنتاجي بمستلزمات الدعم كلها، بل وعليها أن تتراجع عن كل السياسات الاقتصادية كلها المضرة بمصالح الطبقة العاملة، وبعملية الإنتاج الوطني، فالبلاد والعباد لم تعد تحتمل ذاك البؤس كله.

متابعة لواقع العمال في منطقة «نهر عيشة»

توجهت «قاسيون» على مدار يومين لمنطقة عشوائيات «نهر عيشة وجزء من الدحاديل» قاصدة مشاغلها ومعاملها الصغيرة ومحلاتها التجارية، وورشاتها، التي يعمل بها آلاف العمال المحسوبين على القطاع غير المنظم، راغبة بالإضاءة على شريحة لطالما بقيت رهينة العتمة.

■ هاشم اليعقوبي

عن جد عشوائيات

لا يطلق على أحزمة الفقر التي تلف العاصمة دمشق بالعشوائيات عبثاً، فما فيها كله عشوائي بيوتها طرقها، خدماتها «ماء وكهرباء وطرق ونقل ونظافة عامة» كذلك الأمر بالنسبة لمعاملها وورشاتها ومشاغلها، وهذا ينطبق على منطقة «نهر عيشة» والجزء المتصل بها من عشوائيات تتبع إداريا «للدحاديل» وربما لن نجد ما يستحق أن يندرج تحت مسمى المنظم سوى ذلك الانتظام العجيب لآلاف العمال المنتشرين في أماكن عملهم الذين لم يزدهم شقاؤهم اليومي وتردي أحوالهم المعيشية إلا إصراراً على ملاحقة عملهم والتمسك به، علهم يحافظون على ما تبقى من كرامة العيش ويستمرون بممارسة واجبهم العائلي الثقيل.

أصحاب الرزق، أم عمال باعة؟

بدءاً من سوق الخضرة وسوق «عاصم» والأسواق الصغيرة المجاورة ينتشر العمال الباعة على المحال والبسطات تلك قد يظن البعض للوهلة الأولى بأنهم أصحابها لكن تتضح الحقيقة بمجرد التوقف لبعض الوقت، أو الحديث معهم «فأصحاب الرزق» هناك هم قلة مقارنة بالعمال الأجراء، ويمتلكون تلك المحلات والبسطات كلها ويشغلون فيها مئات العمال ويشكل العمال الفتية «من 14– 17 سنة» منهم نسبة تتجاوز النصف مقابل أجر يومي، فيما يحصل الباعة المتمرسون على نسبة البيع التي تتراوح ما بين 2–10 % وحين سألنا أحد هؤلاء العمال الباعة، والذي تتضح خبرته الكبيرة بالسوق والبيع، لماذا لا تفتح بسطة على حسابك أو تستأجر محلا؟ فأجابنا: بأن رأسمال القصة كبير جداً وهو غير متوفر حالياً وإن توفر لاحقاً فلن يسمحوا له كما قال و«سيطفشونه» من السوق والأمر يحتاج للكثير من العلاقات وفهمكم كفاية.

أجور الباعة ... من الجمل أذنه

يبلغ متوسط أجور العمال الباعة 10 آلاف ليرة أسبوعيا ويتضاعف المبلغ لعمال النسبة في حين يحصل الفتية بشكل وسطي على ألف ليرة يومياً فيما تذهب تلك الأرباح كلها لأصحاب المحلات والبسطات.

عمال الخياطة الأكثر عدداً

تنتشر المعامل الصغيرة والمشاغل على مساحة عشوائيات «نهر عيشة» وتأخذ من البيوت الأرضية مستقراً لها وتحتل الخياطة المرتبة الأولى من حيث الكم، فعشرات المعامل الصغيرة والورش والمشاغل كانت وما زالت موجودة في المنطقة منذ سنوات ما قبل الأزمة فيما نشأت ورشات أخرى بعد أن هرب إليها أرباب العمل بأرزاقهم أو بدونها، حين توترت مناطقهم الأصلية كونها بقيت آمنة وتمتاز برخص بدل إيجار العقارات فيها، وكذلك قربها من مركز المدينة «حريقة وسوق مدحت باشا» التي تضم أسواق القماش والمواد الأولية الأخرى وأسواق الألبسة الجاهزة ومكاتب الشحن للمحافظات، ويتضح عدم توفر أية إجراءات صحية أو سلامة مهنية للعمال في هذه الورشات فلا البيوت الرطبة تعتبر بيئة عمل مناسبة ولا التهوية متوفرة ولا حتى الإضاءة، خاصة إذا علمنا أن متوسط ساعات العمل لا يقل عن إحدى عشرة ساعة.

الكثير من تلك المشاغل تتبع لمعامل كبيرة ومتوسطة معروفة بأسماء ماركاتها وأسماء أصحابها

احتيال على القانون ونهب للعمال

تمكنا خلال زيارتنا لبعض المشاغل من الوقوف على واقع العمال فيها وبرزت تلك القضية التي لا يبدو أن المعنيين بشؤون العمال وحقوقهم وعلى رأسهم نقابات العمال يغفلون عنها، بل يتجاهلونها، وهي: أن الكثير من تلك المشاغل تتبع لمعامل كبيرة ومتوسطة معروفة بأسماء ماركاتها وأسماء أصحابها توزعت هنا وهناك وتحوي عشرات العمال، وما لجوء أرباب العمل لهذا الإجراء إلا كي يتنصلوا من تشغيل عمالهم في المعمل، أو الشركة الأم بعقود رسمية تضمن حقوقهم، وفي مقدمتها حقهم بالتسجيل بالتأمينات الاجتماعية، ويكاد يفوق عدد عمال الورشات التابعة لشركة ما عدد العاملين في الشركة، ونتيجة ذلك يتحول هؤلاء لمجرد عمال موسميين يشتغلون حسب حركة السوق ووفق طلبيات الشركة ليجدوا أنفسهم مضطرين للخضوع لتلك العلاقة المركبة على مقاس رب العمل و«شطارته الفطرية» ضامنة له أعلى نسبة أرباح ممكنة، كيف لا ؟ وهو بذلك قد احتال على القانون وتهرب من الضرائب والرسوم واستغل العمال وهضم حقوقهم.

مطالبون بواجباتهم ،محرومون من حقوقهم

استضافنا بعض العمال في أحد هذه المشاغل التابعة لاسم كبير في عالم الألبسة الجاهزة والتي يديرها أحد العمال فيها، حيث حدثنا عن الظلم الكبير الذي يقع عليه وعلى العمال، فهم مرتبطون بالشركة بشكل كامل، ومحاسبون على كل صغيرة وكبيرة وهم مطالبون بكل واجباتهم، ومحرومون من أصغر حقوقهم، ورغم أن أجورهم أفضل من الورشات المستقلة إلا أن ذلك مرده لمعايير الجودة العالية، خلافاً لما هو عليه في الورشات المستقلة ولسبب آخر بأنهم أحياناً يتعطلون لأسبوعين وأحيانا لشهر كامل على حسابهم إذا «نام السوق» أي أنها عطلة إجبارية من غير أجر ويبلغ متوسط أجر العاملين على مكنات الدرزة مرحلة أو مرحلتين 15 ألف أسبوعياً، ولصاحب الخبرة المهنية الأكبر الذي يتمم قطعة كاملة وزميله المقدار 25 ألف أسبوعياً فيما تحصل عاملة الدرزة على عشرة آلاف، وسبعة آلاف لعاملات التنظيف «التعريش والقصقصة» والأمبلاج وأربعة آلاف للعمال الفتية «الحويصة».

للتغطية تتمة

تضمنت زيارة قاسيون معامل ومشاغل أخرى لمهن أخرى سنفرد لها مساحة كافية لها في أعداد لاحقة، ومنها: مشاغل مواد غذائية «بسكوت– سكاكر» وأخرى كيميائية «مواد تنظيف» ومعدنية «نحاسيات – سكب معادن».

في حديثنا مع العمال «الباعة» وعمال الخياطة عن مجمل القضايا كالإنتاج والصعوبات في ظل تسلط أرباب العمل والأداء الاقتصادي الحكومي، استرسل الكثيرون منهم وشاركونا بكلمات ربما تختزل في بساطتها تعقيدات الأزمة وتداعياتها كلها، ومعاناة الطبقة العاملة كلها التي تدفع ثمن سياسات حكومية بائسة تلبي مصالح حيتان النهب، ثمناً باهظاً وبالعملة الصعبة «بالعرق والدم».

« حكي » عمال

عامل بائع ألبسة بالة: «12 ساعة على رجلي، كل يوم بدي نظف المحل وبيع الزبائن وحمّل بضاعة ونزل بضاعة، وعلى تعا وروح مشان شو؟ مشان ألفي ليرة باليوم، أي أنا بس فيق الصبح بدي أعطس ألف ليرة أجار بيت، هي لا أكلنا ولا شربنا ولا دفعنا كهربا ومي، والله يا استاذ بتصدق انو معلمي صاحب المحل الحق معه يركب على ظهرنا، أي إذا حكومتك ركبانة على ظهرنا.! شو كيف ماشية القصة هو يشفط من الحكومة وبيدفع كم ليرة رشوة بالجمارك، والحواجز بتشفط منه عالطريق، الحكومة بترفع سعر الكهربا عالمحلات وسعر البنزين للمولدات، وهو بيدفع لدوريات المحافظة والتموين بدل ما يدفع للحكومة ضرايب وجمرك وخلافه، بس نحنا شو نحنا شغيلة، بدنا نحمل كل هالتخبيص وننام بلا عشا، بلد ما فيها قانون، غابة بكل معنى الكلمة، غابة ومزارع خاصة ونحنا مجرد أرانب، اكتبها متل ما هي نحنا أرانب».

عاملة خياطة «درزة»: «نحنا العاملات النساء حقنا مهضوم أنا معلمة متلي متل العامل عالمكنة، بس أجره أعلى من أجري بمرتين تقريباً، طيب ليش؟ بس لأني امرأة ما أنا وضعي صعب عندي مسؤوليات فاتحة بيت فيه سبع أشخاص ما فيهم ولا زلمة، جوزي مفقود من 2012 ولادي الشباب طفشوا على لبنان عم يشتغلوا بحق أكلهم وشربهم، وأنا هون بدي أصرف على بناتي ونسوان أولادي وبناتهم، عم اشتغل من 12 ساعة ولا ورشة رضيت تشغلني عالقطعة متل العمال الرجال، بهالبلد بتحس انو ما بدهم يانا نشتغل وناكل لقمتنا بالحلال».

البطالة لا يحجبها الغربال!

يدور نقاش واسع في الدول الصناعية المتقدمة حول مفهوم البطالة وأنواعها، وتذهب الاتجاهات الليبرالية الجديدة إلى تعريف البطالة بأنها ظاهرة طبيعية ترافق التطورات الحاصلة في الاقتصادات الحديثة سريعة التغير، الأمر الذي يفرض ديناميكية على سوق العمل ينجم عنها تعطل مؤقت لجزء من اليد العاملة إلى حين تأقلمها وإعادة اندماجها في قوة العمل المنتجة.

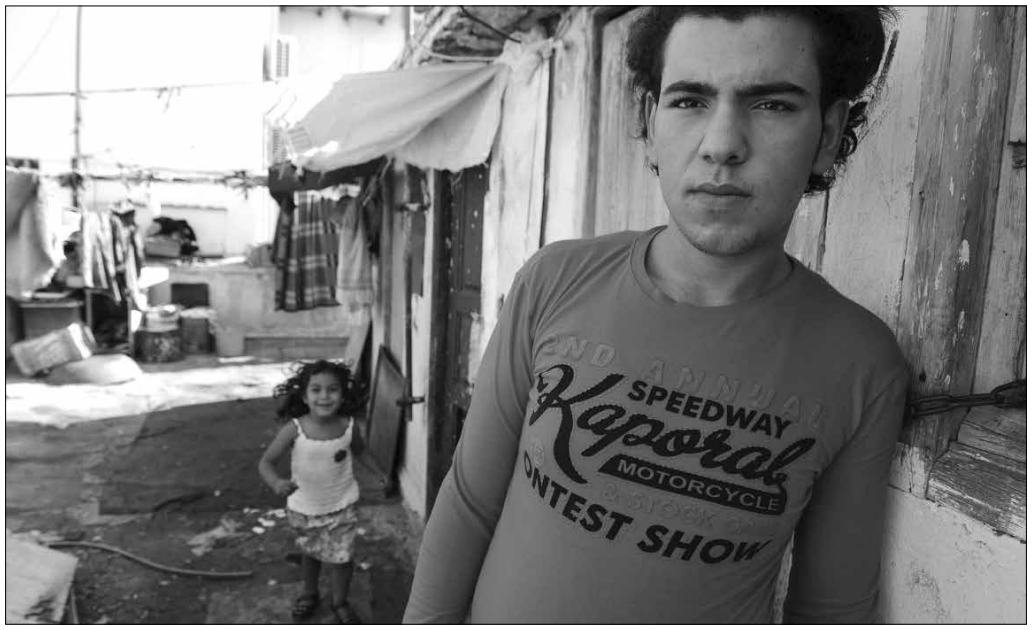

■ عادل ياسين

هل هذا التعريف للبطالة يطال فقط الدول المتقدمة صناعياً، أم يطال الدول النامية التي يجري فيها تطبيق السياسات الليبرالية وفقاً لظروف كلا منها، ومنها بلدنا سورية؟

لقد خضعت مؤشرات البطالة على مدار عقود من الزمن لجدل ونقاش واسعين وذلك لاختلاف الأرقام التي تدلل على حجم البطالة الصادرة عن مراكز الدراسات والمكتب المركزي للإحصاء، ولكن جميعها تدلل على وجود بطالة، ومؤشراتها في حالة تزايد وارتفاع، بالرغم من أن الحكومات تقلل من مخاطر هذه الظاهرة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

لقد ارتفعت معدلات قوة العمل خلال العقدين الأخيرين وبشكل فاق معدل النمو السكاني للفترة ذاتها «من 4 مليون عام 1994 الى نحو 5 مليون عام 2004» وبمعدل سنوي قدره 2٫3% ومن الواضح أن نسبة النساء في سوق العمل قد ارتفعت خلال الفترة المذكورة من 12٫8% إلى 17٫3% وبلغت نسبة البطالة خلال الفترة الواقعة بين عامي 2003 – 2010 نسبة 8% من مجموع قوة العمل بينما هيئة مكافحة البطالة أوردت أن نسبة البطالة تبلغ 15%.

جاء في دراسة للمنتدى الاقتصادي السوري بتاريخ 2014/6/19 « شهدت معدلات البطالة ارتفاعاً غير مسبوق نتيجة الأزمة فارتفعت من 10% عام 2010 إلى 48٫8% عام 2012 وبلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي 2٫5 مليون عامل واستمرت معدلات البطالة في الارتفاع لتصل إلى 60%عام 2013 وبالتالي يبلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي 3٫32 مليون عامل.

أما بالنسبة لمعدلات البطالة في القطاع الخاص الذي يشغل ما يقارب الـ 3 مليون فقد ارتفعت إلى أكثر من 75% نتيجة تراجع المشاريع الاستثمارية بنسبة 50% وهروب أعداد لا بأس بها من الصناعيين بمصانعهم إلى دول الجوار حيث قدر تقرير للأمم المتحدة أن ما خرج من رؤوس أموال يقدر بـ 12 مليار دولار و60% من رجال الأعمال السوريين، وأكد المصدر نفسه أن البطالة في القطاع الخاص تجاوزت 88% في نهاية عام 2013 كذلك ذكرت وزارة الصناعة: أن عدد العمال الذين خسروا عملهم أثر توقف معامل القطاع الخاص الصناعي فقط يبلغ« 800 ألف عامل» منهم 200 ألف عامل مسجلين في التأمينات الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة وزيادة عدد الفنيين والعمال المهاجرين بما فيهم المهندسين حيث وصل عددهم حسب نقيب المهندسين نحو 20 ألف مهندس.

لماذا الأرقام

لقد بدأ في الآونة الأخيرة بروز أصوات تقول أنه ليس هناك بطالة في سورية، بل هناك نقص في العمالة بالرغم من الدراسات الكثيرة والإحصاءات التي تقدمها مراكز الأبحاث بما فيها الحكومية، التي تورد فيها حجم البطالة ومعدلاتها المرتفعة التي باتت خطرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والقصد من هذه المواقف على ما يبدو تبرئة السياسات الاقتصادية الليبرالية من مسؤوليتها تجاه تعاظم معدلات البطالة قبل الأزمة، وأن الأزمة هي المسؤولة عن هذا الواقع وليست تلك السياسات التي كان لها الدور الأساسي في عمليات الإفقار والتهميش من خلال ضرب الصناعة الوطنية، بما فيها القطاع العام الصناعي، عبر سياسة الانفتاح والمنافسة غير المتكافئة مع البضائع الواردة إلى أسواقنا، وضعف الاستثمار في المواقع الصناعية المولدة للعمالة واستثمار الميزات الخاصة في الاقتصاد السوري التي هي رافعة، وتساهم في رفع نسب النمو وتشغل الأعداد الوافدة والمتزايدة إلى سوق العمل، فكان البديل عن ذلك الاتجاه نحو الاستثمار في العقارات والمصارف والسياحة وجميعها مولدة للأرباح لصالح قوى رأس المال وطاردة للعمالة مما يرفع من معدلات البطالة.

الاتجاه نحو الاستثمار في العقارات والمصارف والسياحة، جميعها مولدة للأرباح لصالح قوى رأس المال، وطاردة للعمالة، مما يرفع من معدلات البطالة.

العمالة المهاجرة ليست بالحساب

صحيح أن هناك نقصاً حاد في أعداد العمال الفنيين بسبب الهجرة إلى الخارج الناتجة ليس من الحرب وتبعاتها بل أيضاً لعدم وجود فرص عمل كافية أساساً لها في سورية، وهذه العمالة ليست في حسبان أصحاب نظرية عدم وجود بطالة، ولكن السؤال المفترض طرحه هو: ما هي الإجراءات التي سعت الحكومة من أجل عودتهم بما يكفل إيجاد فرص عمل يساهمون بها في إعادة تدوير عجلة الإنتاج التي هي شبه متوقفة؟

إن الحكومة تنظر إلى هذا الواقع من خلال المثل الشعبي الذي يقول « يا جامع أنت مسكر وأنا منك مستريح ».

البطالة قضية مزمنة

إن قضية البطالة مزمنة، وهي قضية اقتصادية وسياسية بامتياز، ولا يمكن حلها على أساس ما هو مطروح من سياسات تشغيل صغيرة أو خلافه، كما هو مطروح حالياً، إن حلها يعتمد على وجود استثمارات كبيرة في المجال الصناعي والزراعي، حيث المفترض أنها من واجبات الحكومة، أية حكومة، إذا ما أرادت حل قضية البطالة بشكل تدريجي وصحيح، ولكن استمرار القول بحل قضية البطالة باستمرار السياسات الليبرالية هو قبض للريح، وستتفاقم أكثر، وسيكون انفجارها ليس ببعيد بسبب تراكمها على مدار عقود دون إيجاد حلول جذرية تخفف من أثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

إن الشمس لا يمكن أن تغطى بغربال وكذلك البطالة لا يمكن أن تغطى بغربال مهما قيل أنه ليس هناك بطالة، فالبطالة أمر واقع وموجودة تؤكدها المسابقات التي تدعوا لها المؤسسات والشركات الحكومية عند طلبها لموظفين أو عمال حيث يتوافد الآلاف من أجل التوظيف والعمل، أليست هذه بطالة أم ماذا؟

عمل النساء بين الاستغلال والحاجة

نتيجة للأزمة التي تمر بها البلاد والتي أدت إلى هجرة الكثير من الأيدي العاملة، ومن جميع المهن، وبالإضافة إلى حاجة العائلات السورية إلى اكثر، من معيل بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية أو فقدان بعض العائلات لمعيلها الوحيد بسبب الحرب.

■ ميلاد شوقي

هذه الأسباب كلها أدت إلى انتشار ظاهرة عمل النساء وتوسعها، حتى داخل بعض فئات المجتمع التي كانت ترفض فكرة عمل المرأة، ولكنها وجدت نفسها مضطرة في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة للسماح لهن بالعمل، وبتن يعملن في أغلب المهن حتى التي كانت إلى الأمس القريب حكراً على الذكور فقط، بالإضافة إلى عملهن في المجال الخدمي كالبيع والمقاهي والمطاعم وحتى على البسطات، وتوجه قسم لا بأس به إلى المعامل والورش الصناعية والحرف اليدوية.

ولكن القطاع الخاص، وخاصةً القطاع الخاص غير المنظم، الذي توسع كثيراً خلال الأزمة، الذي سمته الأساسية أن العامل أو العاملة محرومان من أية حقوق تذكر لهذا لم يتورع عن استغلال هؤلاء واستغلال حاجتهم للعمل فالعديد من المنشآت تعهدن إلى النساء بأعمال شاقة لا يستطعن القيام بها، وتتطلب جهداً كبيراً، كأعمال الحمل والجر والعتالة وفي الورش الصناعية يعملن على آلات خطيرة والثقيلة «كالمكابس» دون مراعاة لجنسهن أو عمرهن و قدرتهن، عدا عن بقائهن لساعات طويلة تتجاوز اكثر من عشر ساعات في العمل وما لهذا من عواقب سيئة على الأطفال واهمال تربيتهم دون أن يكون بأيدي هؤلاء أية وسيلة للاعتراض خوفاً من تعرضهم للفصل من العمل .

أما عن أجور النساء، فهي بشكل عام أخفض من آجر الشاب وتكاد لا تسد الرمق فمثلا راتب الفتاة في مجال بيع الألبسة لا يتجاوز 10 الاف ليرة سورية فقط ،وفي المعامل لا يتجاوز 20 ألف «عدا عن تعرضهن للتحرش أو اعتمادهن وسيلة لجلب الزبائن كما تفعل اغلب المقاهي والمطاعم»، ويعملن من دون عقود عمل نظامية ولا يوجد جهة حكومية أو نقابة تحميهن أو تدافع عنهن.

وزارة العمل التي عادت بالتشكيل الوزاري الجديد إلى سابق عهدها من جهتها لم تحرك ساكناً، ولم تقم بواجبها من حيث إرسال دورياتها ومفتشيها إلى المنشآت، لبحث أحوال وظروف عمل النساء خلال الأزمة وهي لا تعتبر هذه مشكلة أساساً بل اعتبرت أن عمل النساء هو تطور إيجابي من حيث خروج المرأة ومشاركتها بالنشاط الاقتصادي وخطوة باتجاه تحررها، كما أعلنت ذلك الأمم المتحدة أيضا!! دون أن تذكر الظروف المأساوية التي أجبرت هؤلاء على العمل، ولم تشرح لنا الوزارة ما هي طبيعة هذا النشاط الاقتصادي وظروفه ولمصلحة لمن؟

العقول الصغيرة و«لعبة الشماتة»!

يمكن لمتابع الوسائل الإعلامية، أياً كان نوعها، تقليدية وغير تقليدية، بما في ذلك صفحات وسائل التواصل الاجتماعي، أن يلمس قدراً هائلاً من التشفي والشماتة مع كل حدث سياسي أو أمني جديد، وعلى الأخص مع الأحداث دموية الطابع..

■ سامر العبدالله

ظهر هذا الأمر بوضوح مع تزايد عدد وحجم الأعمال الإرهابية التي ضربت في أوروبا وغيرها، وكذلك مع محاولة الانقلاب الأخيرة في تركيا. وليس صعباً أن يراجع المرء الأحداث وما رافقها من ردود أفعال «شامتة».. ولكن ما يهمنا في هذا المقام ليس ردود أفعال الناس العاديين، التي تشكل بمجملها صدىً لردود الأفعال المسوّقة عبر المنابر شبه الرسمية، والتي تأتي عادة «دبلوماسية الطابع»، كالقول مثلاً «سبق وحذرنا» والقول بأن «أفعال الغرب ترتد عليه» وما إلى ذلك..

إنّ قيام الناس بإعادة صياغة «الشماتة شبه الرسمية»، بطريقتهم الخاصة، له تفسيراته العديدة التي ترتكز إلى الآلام التي لذعتهم نيرانها من الإرهاب وداعميه، وهي بذلك قابلة للتفسير وإن لم تكن قابلة للتبرير.. لكن ما يحتاج تفسيراً هو هذه «الشماتة شبه الرسمية»..

أين تقف الحدود؟

إنّ النظر شماتة إلى ضربات الإرهاب في أوروبا، يعكس ضبابية الرؤية السياسية التي تعانيها نخب سياسية محلية، فالنظرات قومية الطابع، التي ترى كل خراب خارج حدودها، وخاصة إذا أصاب «أعداءها»، انتصاراً لها، هي نظرات باتت متخلفة عن الواقع قرناً من الزمن على الأقل! فمن جهة تعتبر تلك النظرات أبناء القوميات الأخرى والدول الأخرى بجملتهم، إما أعداء وإما حلفاء، ولا تميز في واقع الأمر بين شعوب وحكومات، وإن ادعت ذلك التمييز «دبلوماسياً»، عدا عن ذلك فإن العالم ومنذ دخوله المرحلة الإمبريالية، فقد وإلى الأبد أية إمكانية للفصل بين دوله وشعوبه.. والمسألة لم تعد مسألة دول متحاربة في جوهرها، حتى وإن بقيت على السطح مظاهر احتراب دولتي الطابع..

إنّ الحديث عن الإرهاب اليوم، لا يستقيم ما لم يقرن بجوهره الاقتصادي- الاجتماعي. الإرهاب بهذا المعنى، ليس إلّا أحد تجليات عمل الفاشية الجديدة الممثلة لرأس مال مالي إجرامي عابر للقوميات وللقارات، لرأس مال يرى العالم بأكمله ساحة نهب واحدة، ويرى الشعوب بأسرها موضوعاً واحداً وموحداً للنهب.

«الإنسانية الملموسة»

امتداد ضربات الفاشية من دول الأطراف إلى دول المركز، وإذ يعني ضمن ما يعنيه، مؤشراً على انفجار الأزمة التي حاول هذا المركز تصديرها للأطراف، فإنّه يعني أيضاً أن شعوب العالم بأسره باتت قريبة إلى بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى، وقريبة لا بـ«إنسانيتها» العامة والمجردة فقط، بل وبإنسانيتها الملموسة المتعلقة بحفظ النوع البشري والحضارة البشرية من الوحش الفاشي الذي يهدد بإحراقها.. يضاف إلى ذلك أنّ احتراق جوار دولة ما، وضمن التشابك القائم، لا يعني البتة انطفاء حريق تلك الدولة، بل يعني زيادة شدته وكارثيته..

لا يمكن للمرء أن يلوم كثيراً أصحاب النظرات القومية المتعصبة، فلطالما كان أفقهم الفكري ضيقاً ومحدوداً بمصالحهم التي تتكثف في سعيهم الدؤوب إلى الدفاع عن حقهم الحصري في نهب أبناء قوميتهم، والذي تحول في ظل الاستعمار الحديث، أي منذ أواسط ستينات القرن الماضي، إلى الحق الحصري في كونهم القنوات الأساسية التي عبرها يقوم الغرب بنهب شعوبهم، تاركاً لهم بعض الفتات..

إنّ الأفق الجديد ينفتح واسعاً أمام هذه الشعوب نفسها، واشتداد الحريق الفاشي ليس إلّا إيذاناً بانطفائه القريب.. وإنّ على هذه الشعوب أن تخرج من منطق الشماتة الذي لا يرتد إلّا عليها هي بالذات، وأن تذهب بالمقابل إلى منطق التعاون والتآخي بين مختلف قومياتها..

«اجتماع ثلاثي» أواخر الجاري

على الرغم من التوقف المعلن لجولات جنيف، إلا أن مسار جنيف بمعناه السياسي المؤسسي لم يتوقف، حيث زخر الأسبوع الماضي بالمؤشرات السياسية التي تدلّ على العمل الحثيث الجاري في الأروقة الدولية بهدف دفع الوضع الميداني والسياسي في سورية نحو تحقيق «المسارين المتوازيين» اللذين باتا طريقاً وحيداً نحو حل الأزمة في البلاد، وهما: مكافحة الإرهاب، والحل السياسي السلمي للأزمة السورية.

ففي موسكو أعلن مصدر دبلوماسي يوم الجمعة 2016/7/22، أن نائب وزير الخارجية الروسي، غينادي غاتيلوف، هو من سيرأس وفد بلاده إلى محادثات ثلاثية مرتقبة في جنيف يومي 26-27 من شهر تموز الجاري، هي من قال عنها مصدر آخر في الخارجية الروسية، أنها ستجمع روسيا والولايات المتحدة والأمم المتحدة حول الأزمة السورية.

وعشية اليوم ذاته، كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أعلنت أن اللقاء ذاته في جنيف سيركز على الخطوات الضرورية لتعزيز نظام وقف إطلاق النار في الأراضي السورية، معربة بلسان دبلوماسي فيها عن القناعة بأن «الخطوات التي اتفق عليها كيري ولافروف من شأنها أن تؤدي إلى تخفيف مستويات العنف بقدر كبير، وإضعاف تنظيم جبهة النصرة في سورية، وتوفير المجال للانتقال السياسي الحقيقي الذي لا رجعة عنه».

وفي يوم الجمعة 2016/7/22 أيضاً، أعرب مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى سورية، ستافان دي مستورا خلال مؤتمر صحفي مع وزير الخارجية الألماني في برلين عن اعتقاده بأن الشهرين المقبلين سيكونان حاسمين في سورية بنتيجة الاجتماع الثلاثي المرتقب، في حين أكدت متحدثة باسمه أنه سيشارك في الاجتماع المذكور، معربة عن الأمل «في أن تساعد أية مناقشات بشأن سورية في تحريك العملية قدماً، بحيث يتسنى لنا أيضاً أن نبدأ الجولة المقبلة من المحادثات بين السوريين».

وقبل ذلك بيوم، أعربت الناطقة الرسمية باسم وزارة الخارجية الروسية عن أمل بلادها «في أن ينفذ الجانب الأمريكي وعوده بشأن تأمين فصل المعارضين المعتدلين عن جبهة النصرة»، مشددة في الوقت ذاته على أهمية إطلاق حوار سوري شامل، تحت إشراف دي ميستورا، دون شروط مسبقة ودون إنذارات نهائية تحديداً.

وفي يوم الأربعاء 2016/7/20، أكدت ماريا زاخاروفا أن الاقتراحات حول عقد اجتماع جديد بين ممثلي الخارجيتين الأمريكية والروسية هي «اقتراحاتنا التي طرحت منذ فترة بعيدة، وننطلق من أن خطوات كيري تشير إلى وجود قوى عقلانية في واشنطن، تدرك ضرورة العمل المشترك».

وكان الحديث حول الاجتماع المرتقب قد بدأ يوم الثلاثاء 2016/7/19، حين اعتبر كيري، عقب لقاء جمعه بوزير الخارجية البريطاني، بوريس جونسون: «كلانا، لافروف وأنا، نعتقد أننا ندرك الاتجاه الذي نتحرك نحوه، وما هي الأهداف التي لا بد من تحقيقها»، مضيفاً: «إن فريقانا سيجتمعان قريباً لإعطاء دفعة لنظام وقف الأعمال القتالية في سورية، من أجل تعزيز قدراتنا على محاربة تنظيمي القاعدة وداعش»، كاشفاً للصحفيين إن العمل جارٍ بهذا الصدد مع نظرائه البريطاني والألماني والفرنسي والإيطالي «ورئيسة الدبلوماسية الأوروبية، فيديريكا موغيريني» والسعودي واليمني.

قبل ذلك، ومن العاصمة الروسية موسكو، كان قد أكد رئيس مجموعة «موسكو» د.قدري جميل، يوم الاثنين 2016/7/18، إنه لا بد من تفعيل مكافحة «جبهة النصرة» ولابد من استئناف المحادثات السورية- السورية، لأنه ليس هناك مخرج آخر، مشيراً إلى دور «جبهة النصرة» وحلفائها داخل سورية وخارجها في عرقلة استئناف المحادثات، وإلى أن حل هذه المسألة أصبح الآن أسهل مما كان عليه، بعد الأحداث الأخيرة في تركيا.

ولفت جميل إلى أنه لم يعد لدى الولايات المتحدة والسعودية أية مبررات لنفي تأثيرهما على التنظيمات العسكرية، ورفض فصل ما يسمى بالمعارضة المعتدلة عن «جبهة النصرة».

تركيا.. وأسئلة الانقلاب

واكبت وسائل الإعلام الحدث التركي من خلال العديد من القراءات، السطحية، والمضللة، والمشوهة، غطت من خلالها كعادتها، على ما هو جوهري وعميق، في محاولة الانقلاب التي جرت في هذه الدولة، ومعناه، ودلالاته، حيث بات يتوقف، الآن وإلى حد ما، اتجاه سير عموم الوضع الإقليمي على اتجاه تطور الأحداث في تركيا، وعلاقة ذلك بالتوازن الدولي، بما يعنيه هذا الأخير في الإسهام بتحديد اتجاه تطور الأحداث عالمياً.

■ رمزي السالم

إن قراءة متأنية، ومسؤولة عن محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، تقودنا إلى استنتاجات عديدة:

أولاً: إن تركيا ما بعد الانقلاب، لن تكون تركيا قبل الانقلاب، بمعنى أن، الوزن الجيوسياسي لهذه الدولة أمام تحد كبير، وأن الدور السابق الذي استمر على مدى عقود في شبكة العلاقات الإقليمية والدولية، قد انتهى! فما جرى هو ليس مجرد صراع على السلطة، ولا هو حدث داخلي تركي، ولا هو صراع بين العلماني والإسلامي، وما إلى ذلك من قراءات حفلت به البروباغندا التي واكبت الحدث.

ثانياً: كان واضحاً أن تركيا حبلى، بتطورات نوعية، حيث وصل نموذج النظام السياسي التركي إلى طريق مسدود، ومرد ذلك هو فشل خيارات تركيا السياسية خلال السنوات الخمس الماضية: السير في العلاقات الدولية عكس اتجاه التوازن الدولي الجديد، خلافات حادة مع معظم دول الجوار الإقليمي، تناقضات سياسية بين القوى السياسية التقليدية، بما فيها تناقضات بين أقطاب حزب العدالة والتنمية، توتير الملف الكردي في البلاد، تراجع نسب النمو الاقتصادي، الفشل في دخول الاتحاد الأوربي.. إلخ. وجاء الانقلاب «العتيد»، ليظهر تأثير ذلك كله بالملموس، وصولاً إلى السؤال عن هوية تركيا.

ثالثاً: تشير التقارير إلى أن، ديون تركيا تبلغ 403 مليار، وأن عليها خلال ثلاثة أشهر تسديد 132 مليار كديون عاجلة، في حين يبلغ الاحتياطي النقدي 103 مليار دولار فقط، مما يعني أن النموذج الاقتصادي التركي هو الآخر كشف عن بؤسه وعجزه عن مواكبة التطورات العاصفة التي تحيط بتركيا، وأن تركيا رغم كل ما قيل عن نموذجها الاقتصادي كانت على وشك انهيار اقتصادي.

رابعاً: جاء الانقلاب ليضيف تناقضات جديدة على قائمة التناقضات داخل المشهد السياسي التركي، حيث تجلى بالملموس الانقسام في جهاز الدولة، وخصوصاً ضمن عمودها الفقري «الجيش» وعموم منظومة القوة، من استخبارات وشرطة وغيرها، مما يعني بمقاييس الدولة التركية، أن أهم أدوات ضمان وحدة البلاد، ورموز قوتها، يتراجع دورها ووزنها، وتتصدع. ومما يزيد الأمر خطورة، أن هذا الانقسام قد يؤدي إلى تعميق الانقسام المجتمعي، ويدفعه إلى مستويات خطيرة، لاسيما وأن صعود دور الإسلام السياسي كان قد وضع منذ ما يقارب العقد ثنائية، «علماني– إسلامي» على بساط البحث.

خامساً: إن هذا التناقض الجديد، مضافاً إلى التناقضات السابقة في دولة مثل تركيا، تقع في القلب من خريطة الفوضى الخلاقة الأمريكية، وبتركيبتها الديمغرافية، قومياً، وطائفياً، ينذر بزلزال إقليمي، وعالمي، وخصوصاً إذا استطاع المركز الفاشي العالمي الدخول على خط الأزمة، وتفعيل التناقضات، سواء أكانت القديمة منها أم الجديدة، الحقيقية منها أم الوهمية.

سادساً: إن نموذج الدولة التركية، الذي ينتمي إلى مرحلة الصراع بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، وتم تطعيمه لاحقاً بالإسلام السياسي، والذي استطاع أن يقوم بأدوار وظيفية في بعض المراحل لصالح المركز الامبريالي العالمي، والذي كان «الناتو» جزءاً من بناه العسكرية، هذا النموذج استنفد دوره التاريخي.

سابعاً: إن الظن بأن هناك طرفاً منتصراً في تركيا، ما هو إلا تعبير عن سذاجة سياسية، فتيار الإسلام السياسي– الأردوغاني، بخياراته الرعناء، وبمحاولات اللعب في هوامش التوازن الدولي الجديد، والإمساك ببعض الأوراق، والاستثمار فيها للحفاظ على الدور الإقليمي انتهى، حتى وإن بدا منتصراً في اللعبة الانقلابية، حيث دخل على أثرها في مواجهة مع قطاعات شعبية ورسمية واسعة، ترجح بعض الآراء أنها استدراج أمريكي إلى ردود أفعال محددة سمتها اللاعقلانية بما يعمق الانقسام التركي، ويدفع البلاد نحو المجهول، تماشياً مع الاستراتيجية الامريكية بإشعال المحيط الجيوسياسي للقوى الدولية الصاعدة، وتحديداً روسيا والصين.

ثامناً: يمكن الجزم بأن تركيا دخلت المرحلة الانتقالية، التي تفصل بين موت القديم، وولادة الجديد. والسؤال هو: ما هو الجديد؟ وهذا ما ستجيب عنه حقيقة التوازنات الداخلية التركيا، وطريقة إدارة الأزمة، من قبل القوى السياسية والنخبة التركية.

تركيا ما بعد الانقلاب لن تكون تركيا قبل الانقلاب أي أن الوزن الجيوسياسي لهذه الدولة أمام تحد كبير

دول التشوه الولادي

كانت الولادة المشوهة، السمة المشتركة لدول الشرق والكيانات السياسية التي تشكلت بعد تفكك الامبراطورية العثمانية، حيث طعمت خرائط هذه الدول بفايروسات مديدة التأثير، على يد مكاتب الهندسة السياسية الغربية الاستعمارية. ومع عجز الدولة الوطنية عن إنجاز مهامها التاريخية، بقيت دول هذا الفضاء كلها عرضة للهزات والاختلالات والتصدعات. وإن التذكير بهذه الحقيقة التاريخية يأتي ليؤكد حقيقة أخرى مفادها: أن هذه الدول بلا استثناء، لن تكون بمنجى من الهزات الارتدادية في المراكز الرأسمالية، وإذا أرادت نخبها السياسية الإبقاء على دولها، فإنها مدعوة بالدرجة الأولى، إلى تغيير المسار التاريخي لها، الذي اتسم بالتبعية للمركز الرأسمالي الغربي، وإلى الاستفادة من الفرصة التاريخية، التي يوفرها التوازن الدولي الجديد، والانعطاف شرقاً. فبمقدار البعد عن أجندات المشروع الرأسمالي الغربي الحالي، تتكون الإمكانية للتخلص من التشوه الولادي الذي لازم هذه الدول منذ سايكس– بيكو، لاسيما وأن الانعطاف الحاد الذي يمر به المجتمع البشري، على خلفية أزمة الرأسمالية العالمية، لم يعد يسمح بالوقوف على الحياد، ولا بمسك العصا من الوسط، ولا بالمناورات.

من الجدير بالذكر، أن «قاسيون» في عددها الصادر يوم الأحد، 2 آب 2015، أي قبل عام تقريباً، وفي سياق مواكبتها، لتطورات الوضع التركي، كانت قد تنبأت بأن أمام تركيا خياران لا ثالث لهما:

- إما القبول بقانونية التوازن الدولي والانخراط في الحلول السياسية لملفاتها الداخلية، وبالدرجة الأولى القضية الكردية على أساس الاعتراف بحق تقرير المصير، والملفات الإقليمية، وبالدرجة الأولى الملف السوري، والكف عن دعم جماعات الإرهاب الديني بتسمياتها المختلفة.
- أو التماهي مع القوى الفاشية العالمية، الأمر الذي يعني من جملة ما يعني إنهاء تركيا كدولة.

«صدقت تنبؤات» الكاتب الأمريكي، مايكل روبين، الذي كان قد عنون مقالته المنشورة في أواخر شهر آذار الماضي على صفحات معهد «American Enterprise» الاستراتيجي الأمني الأمريكي بعنوان: «هل سيكون هناك انقلاب عسكري في تركيا»؟ فكيف جرى ذلك؟

ليلة الترقب.. من الفشل إلى محاولات الاستثمار الداخلي؟

جرت ليلة الجمعة- السبت 16/ تموز الجاري، محاولة انقلاب عسكري في تركيا، تسارعت أحداثها بشكل كبير حتى صباح السبت، لتنتهي الموجة الأولى من التوتر الميداني بموجة أولية من الاعتقالات، شملت مجموعة من العسكريين والقضاة والمدنيين، في مختلف أنحاء البلاد، ولتبدأ بعدها الموجة الثانية من التبعات التي يستمر مفعولها حتى الآن.

■ إعداد: فادي خضر

إن كان المشهد السياسي لم ينجلِ تماماً حول ملابسات محاولة الانقلاب، وتبعاته اللاحقة، إلا أن أزمات تركيا السياسية داخلياً وخارجياً، والتي وصلت إلى أفق مسدود وتحديداً في مسألتي: القضية الكردية، والأزمة السورية، إضافة إلى تزامن محاولة الانقلاب مع بداية الاستدارة التركية نحو روسيا، يشي بتورط أجنحة فاشية داخل الحكومات الغربية- وتحديداً الولايات المتحدة- في التحضير لهذا الانقلاب.

فيما يلي، نورد أهم التفاصيل التي رافقت محاولة الانقلاب، وما تلاها من إجراءات وتغييرات في الداخل التركي، حتى ساعة إعداد هذا التقرير.

الساعات الأولى: ساعات الترقب

ابتداءً من الساعة 11:00م، قام الإنقلابيون بجملة خاطفة من التحركات، شملت إغلاق جسر البوسفور- الرابط بين شطري اسطنبول الآسيوي والأوروبي- وتعليق رحلات الطيران في مطار أتاتورك الدولي جميع، بالتزامن مع سماع أصوات الرصاص في العاصمة أنقرة، وتحليق مقاتلات ومروحيات في أجواء العاصمة.

في تمام الساعة 11:37م، أعلنت وحدات من الجيش التركي سيطرتها على السلطة في البلاد، مؤكدة استمرار العلاقات القائمة مع الدول الأجنبية، وأن «سيادة القانون يجب أن تظل أولوية».

الساعة 11:56م، فرضت الوحدات المشاركة في المحاولة الانقلابية حظر التجول، فيما دعا عمدة أنقرة المواطنين للخروج إلى الشوارع، محذراً من «اندلاع كارثة قريباً».

الساعة 12:21ص، الوحدات المشاركة في المحاولة الانقلابية تعلن تولي «مجلس السلام» لقيادة السلطة في البلاد، لحين إجراء انتخابات جديدة في مؤسسات الدولة جميعها، ووضع دستور جديد للبلاد، في الوقت التي سارعت فيه وكالة «فرانس برس» إلى إعلان احتجاز رئيس الأركان التركي، خلوصي أكار، من قبل منفذي الانقلاب.

الساعة 12:23ص: السفارة الأمريكية في أنقرة تصدر بياناً تحذّر فيه مواطنيها الموجودين على الأراضي التركية من التجول، واصفة الأحداث في تركيا بأنها «Turkish Uprising»، أي أنها انتفاضة أو هبّة تركية.

حوالي الساعة 12:24ص، نشرت وسائل إعلام تركية نبأ اقتحام المقر الرئيسي لحزب «العدالة والتنمية» الحاكم في أنقرة، وبحسب رئيس فرع حزب «العدالة والتنمية» في اسطنبول، فإن جنوداً دخلوا مبنى الحزب وطلبوا من الموجودين المغادرة.

الرد الأول من الجانب الحكومي ظهر في الساعة 12:31ص، وجاء عبر خبر عاجل أوردته بعض المحطات التلفزيونية، تضمن إعلان الرئاسة التركية أنها لا تزال على رأس السلطة، وأن حزب «العدالة والتنمية» يحشد الجمهور للخروج إلى الشارع تنديداً بمحاولة الانقلاب.

تلا ذلك الظهور الأول للرئيس، رجب طيب أردوغان، عبر مكالمة فيديو هاتفية، لمحطة «سي إن إن تورك»، حيث دعا المواطنين للخروج إلى الشوارع والميادين للرد على المحاولة الانقلابية، مشيراً إلى أنه «بقوة الشعب والقانون ستتجاوز تركيا ما يحدث»، واتهم الرئيس التركي «التنظيم الموازي» بقيادة المعارض، فتح الله غولن، الموجود في الولايات المتحدة، بالوقوف وراء هذا العمل، قائلاً إن «محاولة الانقلاب تقوم بها مجموعة صغيرة داخل الجيش».

المحاولة توشك على الفشل

بعد ذلك، شهدت الأحداث تطورات معاكسة، إذ أنه وبعدما أخذ منحى التطورات في الساعتين الأوليتين من الأحداث نشاطاً كبيراً من منفذي الانقلاب، يمكن رصد مرحلة الساعات الأربع اللاحقة باتجاهين عامّين، الأول هو: في سيل التصريحات الداخلية والخارجية التي تراوحت بين الحذر، والدعم للحكومة القائمة في البلاد، والاتجاه الآخر هو في بداية الصدام العسكري بين مؤيدي ومعارضي الانقلاب، والذي يمكن وصفه بالدموي لكنه عملياً كان قصير الأمد.

على صعيد المواقف الدولية، انطلقت الموجة الأولى من التصريحات من موسكو، حيث كان وزيري الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، والأمريكي، جون كيري، يبحثان الأزمة السورية والتنسيق الروسي الأمريكي حول مكافحة الإرهاب، وبينما عبّر كيري عن عدم امتلاكه معلومات بحكم وجوده في اجتماعات طويلة في موسكو وأن معلومات الصحفيين ربما تكون أكثر، شدّد لافروف على ضرورة ضمان استقرار تركيا وتجنب سفك الدماء في تركيا، وتسوية القضايا وفقاً للدستور المعمول به في البلاد.

في تلك الأثناء، قام الانقلابيون بقصف مبنى البرلمان التركي، وتقريباً في الساعة 01:30 من فجر السبت، أكدت وكالة الأنباء الألمانية «DBA»، سماع دوي إطلاق نار في المجمع الرئاسي بأنقرة، مشيرة إلى رصد مروحية عسكرية تفتح النار هناك، ومشاهدة مواطنين يتوجهون نحو المجمع الرئاسي.

وفي الساعة 2:00ص، ذكرت وكالة «الأناضول»، أن مقاتلة أسقطت مروحية تابعة للانقلابيين، تلاها وحتى حوالي الساعة الثالثة صباحاً، جملة من الأحداث الدامية، أعنفها كان إطلاق النار على المحتجين أثناء محاولتهم عبور جسر البوسفور في اسطنبول، ووقوع إصابات بين المدنيين، وهو ما أثار حالة من الذعر في تلك المنطقة، كما سقط 17 من عناصر الشرطة التركية، بقصف نفذته مقاتلات الانقلابيين على مقر القوات الخاصة بأنقرة تضمن اقتحامه، فيما قصفت مروحيات أخرى مبنى رئاسة الأركان التابع للجيش التركي.

أزمات تركيا السياسية التي وصلت إلى أفق مسدود إضافة إلى تزامن محاولة الانقلاب مع بداية الاستدارة التركية نحو روسيا تشي بتورط أجنحة فاشية داخل الحكومات الغربية بالانقلاب

وفي حوالي الساعة الثالثة من صباح يوم السبت، أعلنت الاستخبارات التركية عودة الوضع إلى طبيعته في الشارع التركي، بحسب قناة «سكاي نيوز» التي كانت خلال الساعات السابقة من «المهللين» للانقلاب و«المثبتين» إعلامياً لنجاحه. وفي الوقت ذاته، عاد بث قناة «تي آر تي» التركية الرسمية بعد انقطاع دام لساعات بعد النجاح في إبعاد عناصر من الانقلابيين عن مبنى القناة.

تحركات حكومية ضد الانقلابيين

نقلت وكالة «الأناضول» خبراً مفاده أن قوات الأمن ضبطت وثائق تؤكد تنفيذ جماعة فتح الله غولن للانقلاب الفاشل، وقال أردوغان في مقابلة تلفزيونية مع قناة «سي إن إن» الاثنين الفائت، أنه يتم تحضير الأوراق فيما يتعلق بالطلب من الولايات المتحدة تسليم غولن، وأضاف أنه «في حال لم تستجب الولايات المتحدة لطلب تسليمه، وفقاً لاتفاقية تسليم المجرمين بين البلدين فإن تركيا ستتوقف عن تسليمها الأشخاص الذين تطلبهم، ممن يواجهون اتهامات في الولايات المتحدة».

إلا إن ما تلا ذلك من أحداث، فتح الباب أمام مخاوف من قبيل محاولة أردوغان استغلال الوضع بهدف تحييد معارضي سياسة «العدالة والتنمية» في الداخل التركي كلهم. وقد قال الرئيس التركي في معرض حديثه للقناة، إنه سيوافق على إعادة تطبيق حكم الإعدام في حال وافق البرلمان التركي على ذلك.

كما أعلن أردوغان يوم الخميس 21/ تموز، إنه «سيكشف النقاب» في أقرب وقت عن «هيكلية جديدة للقوات المسلحة»، مؤكداً أن «وجوهاً جديدة ستتقلد مناصب في الجيش»، ولم يستبعد أردوغان «إجراء بعض التعديلات في الدستور التركي» بعد المحاولة الفاشلة للانقلاب العسكري في البلاد.

وكانت الأجهزة الأمنية والشرطة قد شرعت بحملة اعتقالات واسعة، بُعيد ساعات من عودة الهدوء إلى الشوارع التركية، طالت حتى تاريخ إعداد هذا التقرير 10410 موقوفاً، بحسب تصريح لياسين أقطاي، نائب رئيس الحزب الحاكم، الذي ذكر في مؤتمر صحفي يوم الخميس الفائت إن من بين الموقوفين 287 شرطياً، و7423 عسكرياً، من بينهم 118 جنرال وأميرال، و2014 قاضياً ومدعياً عاماً فضلاً عن 686 مدنياً.

إن محاولة الانقلاب هذه تعكس بالدرجة الأولى الصراع الدولي القائم بين «التيار العقلاني» و«التيار الفاشي»، فالأخير الذي بدأ انقلابه يعلم تماماً أنه بغض النظر عن نجاحه في مبتغاه من عدمه، فإنه سيزيد من اشتعال المنطقة، من خلال إشعال تركيا ذاتها وإضعاف مختلف أطرافها ووضع صواعق تفجير مديدة فيها، وذلك كله يأخذ في حسبانه أيضاً أن تركيا، بموقعها الجغرافي، تعتبر من مناطق النفوذ الحيوي لروسيا المنخرطة في محاربة الفاشية الجديدة بمستوى عالٍ من الجدية.

وبهذا، يغدو «التنبؤ» الذي افترضه مركز الدراسات المذكور في مقدمة هذا التقرير، ليس أكثر من مقال يعتمد على الاحتمالات التي عادة ما يبحثها التياران آنفا الذكر.

لاثانوية مهنية في الحسينية!..
والحل: أن يمشي الطلاب إلى السيدة زينب!

سكان منطقة الحسينية مازالوا يعانون عدم الاهتمام بالخدمات، وخاصة مع تشابك العائدية الإدارية مع ثلاث محافظات، وهي القنيطرة ودمشق وريف دمشق، ما خلق تفاوتاً من ناحية التخديم.

■ حازم عوض

وعدا عن المشاكل السابقة التي طرحتها «قاسيون» في عدد سابق فيما يخص الهواتف والكهرباء والمواصلات والقمامة، اشتكى مؤخراً طلاب المنطقة من عدم وجود مدارس ثانوية عامة تابعة لمحافظة ريف دمشق نهائياً، ما سبب لهم مشكلة كبيرة، إضافة إلى عدم وجود مدارس مهنية وصناعية ونسوية بشكل نهائي.

وقال الطلاب في شكواهم «نحن طلاب تربية ريف دمشق في الحسينية، حصلنا على مجموع عام في شهادة التعليم الأساسي بين 1511 و 1790 ويوجد في بلدتنا ثانويتين فقط، لكن للأسف تتبع واحدة لتربية القنيطرة والأخرى لدمشق، ولم يتم قبولنا بهما رغم حصولنا على مجموع يؤهلنا بدراسة التعليم العام في المدارس التابعة لتربية القنيطرة ودمشق».

مشكلة أرقام

المشكلة بالنسبة للطلاب التابعين لتربية ريف دمشق المشتكين، هي أن مجاميعهم في شهادة التعليم الأساسي كانت مرتفعة وتخولهم بدخول التعليم العام في تربية القنيطرة على الأقل، إلا أن مجموعهم الذي لم يحقق الرقم المطلوب للتعليم العام في تربية ريف دمشق، لم يؤهلهم بالحصول على استثناء للتسجيل في الثانوية الأقرب على حد تعبيرهم، ولو كانت مجاميعهم أعلى من الرقم المحدد من قبل القنيطرة للدخول في التعليم العام.

وبعد صدور نتائج امتحانات شهادة التعليم الأساسي، تم تحديد تعليمات القيد والقبول لطلاب الأول الثانوي، وحددت تربية دمشق مجموع القبول في التعليم العام بـ 1700 درجة وريف دمشق بـ 1791 درجة، والقنيطرة بـ 1572، إضافة إلى تشكيل لجنة لدراسة خطة استيعاب في القرى والمناطق النائية على أساس تحقيق ما نسبته 70% من الناجحين للتعليم العام و30% للتعليم المهني.

لكن وفقاً للشكاوى، لا يوجد في الحسينية أية مدرسة للتعليم المهني أو الصناعي أو التجاري، وكل ما ذكر سيدفعهم للخروج من المنطقة والتوجه إلى المدارس الأقرب وهي في منطقة السيدة زينب، لكن الوصول إلى تلك المنطقة والتي اعتبرتها تربية ريف دمشق «قريبة جداً» من الحسينية، كان بحسب الشكاوى، صعب التحقق.

الطريق مغلق وتكلفة المواصلات مرهقة

وقال الطلاب في شكواهم لـ «قاسيون» إن «منطقة السيدة زينب تبعد عن الحسينية عبر الطريق الرئيسي حوالي 3 كم، ولكن الطريق مغلق لأسباب أمنية، لذلك من يريد التوجه للسيدة زينب عليه ركوب السرفيس المتجه إلى دمشق بـ 100 ليرة مروراً من طريق المؤتمرات الذي يشهد ازدحاماً خانقاً، وبعدها الجسر الرابع الذي يشهد أيضاً ازدحاماً خانقاً، وبعد عبور هذا الطريق علينا النزول عند مفرق المستقبل على طريق المطار وبعدها ركوب سرفيس السيدة زينب بـ 75 ليرة».

وأردفوا «الطريق إلى السيدة زينب يحتاج حوالي ساعة ونصف ذهاباً ومثلها للإياب، وتكلفة المواصلات اليومية تصل إلى 350 ليرة سورية، مع الأخذ بعين الاعتبار قلة وسائل النقل من الحسينية إلى دمشق».

وطالب الطلاب بأنه «طالما هناك ثانوية عامة في الحسينية تتبع لتربية القنيطرة، لماذا لا يستثنى طلاب المنطقة هذه فقط ويتم قبولهم في المدرسة وفقاً لمعدلات القنيطرة؟».

مدرسة القنيطرة مستعدة للمساعدة

مدير مدرسة الحسينية الرابعة التابعة لتربية القنيطرة، أحمد غازي، قال إنه «لايوجد في الحسينية سوى ثانويتين، إحداها تابعة لدمشق والأخرى للقنيطرة، بينما لا يوجد لتربية الريف أية ثانوية، وعلى ذلك تواصلنا مع مدير تربية الريف لحل مشكلة الطلاب، لكن قانونياً، لا يمكن قبولهم في المدرسة إلا إذا حققوا نسبة التعليم العام المطلوبة في المحافظة التي صدرت عنها شهادتهم، ولو كان معدل القبول لدينا أقل من الريف»، مشيراً إلى أن «كل من حقق معدل القبول في تربية الريف التي يتبع لها وهو من سكان الحسينية، يجب عليه الحصول على قبول خطي من قبل مدير تربية القنيطرة، وسند إقامة بأنه من المنطقة، ويمكن حصوله حينها على استثناء للتسجيل في المدرسة».

وأكد غازي أن عدد طلاب ريف دمشق المتضررين نتيجة عدم قبولهم في مدرسة القنيطرة أو دمشق، يصل إلى حوالي 30 طالباً، بينما يرتفع العدد إلى شعبتين صفيتين، أي ما يقارب 60 طالب أو أكثر، إن تمت إضافة الطلاب المتضررين نتيجة عدم وجود مدارس مهنية أو صناعية أو تجارية نهائياً.

وأبدى غازي استعداده لاستقبال الطلاب المتضررين التابعين لريف دمشق، مؤكداً أن مدرسته يمكن أن تستوعب الـ 30 طالباً، لكن القانون لا يسمح له بذلك، مطالباً «بإصدار استثناء وزاري، لاستيعاب الناجحين في الحسينية جميعهم بمدارس القنيطرة أو دمشق وفقاً لمعدلات القبول في هاتين المحافظتين».

لايوجد تعليم مهني!

وعن عدم وجود مدارس غير التعليم العام في الحسينية، أردف «مشكلة توفير مدارس للتعليم الصناعي أو المهني أو التجاري، هي مشكلة عامة في الحسينية لجميع مديريات التربية»، مضيفاً «إن تم إحداث مدرسة مهنية واحدة على الأقل، قد يساعد ذلك بمنع تسرب الطلاب من التعليم الثانوي نتيجة بعد المدارس عن المنطقة وارتفاع تكاليف النقل، ويمكن لهذه المدرسة أن تستوعب طلاباً من خارج الحسينية مثل طلاب نجها، وتساعد في حل مشاكل العديد من الطلاب الآخرين في مناطق بعيدة عن دمشق لكنها قريبة من الحسينية».

لايوجد في الحسينية سوى ثانويتين، إحداها تابعة لدمشق والأخرى للقنيطرة، بينما لا يوجد لتربية الريف أية ثانوية

وتابع «هناك مشكلة حقيقية بالمواصلات للوصول إلى أقرب منطقة للثانويات المهنية والصناعية والتجارية أو النسوية، فالطالب مضطر للنزول إلى منطقة السيدة زينب التي لا يوجد فيها سوى مدرسة مهنية واحدة ولا تقدم سوى الكترون، إضافة إلى مدرسة نسوية واحدة».

لا توجد صعوبة ولا يوجد حل!

لكن لمدير تربية ريف دمشق خالد رحيمة، حديث آخر، خاصة وأنه «لم ير أية صعوبة بالتوجه إلى السيدة زينب، داعياً الطلاب للتوجه مشياً على الأقدام إلى هناك، إن أرادوا».

وقال رحيمة في حديث إذاعي «الحسينية محاذية لمنطقة السيدة زينب، وهي قريبة جداً منها، ويمكن لهؤلاء الطلاب التسجيل في مدارسها»، وهذا هو الحل الوحيد بالنسبة إليه، رافضاً قضية تخفيض معدلات القبول لطلاب الحسينية فقط، نتيجة موازنة قام بها بين هذه المنطقة وقرى بعيدة، قائلاً: «يوجد في الحسينية كادر ممتاز والوضع مستقر هناك، ولا يمكن استثنائها وتخفيض المعدل فيها».

وأضاف، «لدينا قرى نائية جداً أهم لتقديم الاستثناءات مثل أبو قاووق بريف قطنا، وريف النبك وريف يبرود وريف القطيفة، وهذه المناطق يتم تخفيض معدل القبول بها وفقاً لدراسة تحقق ما نسبته 30% تعليم مهني و70 % تعليم عام».

«الحسينية صغيرة، ولا تحقق شروط إحداث مدارس تعليم عام أو مهني» وفقاً لرحيمة، الذي أوضح: شروط بناء مدرسة ثانوية عامة في المنطقة بضرورة «توفر عدد طلاب كاف يحقق أكثر من 30 طالب في الشعبة الصفية الواحدة، إضافة إلى العامل الأهم وهو توفر البناء الخاص بالمدرسة، وذلك كله غير محقق».

واستبعد رحيمة إحداث مدارس تجارية أو صناعية أو مهنية، أو حتى ثانوية عامة في الحسينية، قائلاً: «التعليم المهني يحتاج آلات ومعدات وتجهيزات بملايين الليرات، وأحياناً بمئات الملايين لمدرسة صناعية أو تجارية وهو أمر ليس بالسهل».

المعطى الرقمي وأولويات المعالجة

والحال كذلك يظهر التناقض بين أولويات الطلاب وأولويات الجهات الرسمية من حيث مقدمات المعالجة المطلوبة لحل مشكلة الطلاب واحتياجاتهم، حيث يظهر الرقم المجرد هو العامل الأساس في تلك المعادلة حسب الجهات الرسمية، بينما الأفق والطموح والرغبة والمعاناة هي ما تتسم به أطراف المعادلة من الجانب الآخر، سواء على مستوى الطلبة أو على مستوى ذويهم.

ولئن كان الرقم الحالي يدور حول احتياجات ومعاناة ومطالب 60 طالباً فقط بهذا العام، فإن ذلك يعني تزايد الأعداد في الأعوام القادمة، وهو ما يجب أن يتم العمل عليه بحال كان المعطى الرقمي هو أحد أوجه التعامل مع مثل هذه القضايا.

وعلى ذلك فإنه من المفترض البدء بمعالجة أوضاع هؤلاء الآن تمهيداً لمعالجة تلك الزيادات خلال الأعوام القادمة، وهو الحل الأنسب بعيداً عن الشكل المفروض على الطلاب في تلك المنطقة المتمثل بتعدد التبعيات الإدارية، حيث لا ذنب لهم بهذه التعددية وتبعاتها، والتي باتوا يدفعون ضريبتها على مستوى التحصيل العلمي والأفق المستقبلي لهم، ناهيك عن معاناة الأهالي بشكل عام من هذه التعددية على مستوى الخدمات.

مسلسل الحرائق المستمر

الوجه الشرقي لسلسلة الجبال الساحلية المحاذية لسهل الغاب أصبح كالجسم المصاب بالبرص، حيث يكاد يختفي اللون الأخضر منه لتظهر مكانه بقعاً صفراء وسوداء وأخرى بين بين، وذلك بعد جملة الحرائق التي طالت هذه السلسلة أمام أعين ومرأى المسؤولين، ولا مبالاة الكثيرين منهم.

■ مراسل قاسيون

غابات وأحراج وادي طاحونة الحلاوة إلى عين وريدة وعناب وساقية نجم، ومن أرض مرداش وصقلية، وفي مناطق قبر الشوباصي عين حلاقيم وطريق الزينة، وغيرها من القرى والمناطق، التي تحيطها المساحات الواسعة من الأحراج الطبيعية والغابات الصنوبرية، كلها أتت عليها النيران المشتعلة خلال الأيام الماضية، عبر موجة من الحرائق التي لا يمكن أن تكون إلا مفتعلة، وما زالت مستمرة وتمتد مقتربة أكثر فأكثر من قرى وبلدات سهل الغاب الأخرى، وقد كان هبوب الرياح سبباً إضافياً لتسعير النيران وامتدادها.

حرائق بفعل فاعل

بعض الأهالي في تلك المناطق قاموا بإخلاء منازلهم كما اضطروا للنزوح منها، وذلك بسبب تلك الحرائق، على شكل موجة نزوح لا يمكن الاستهانة بها وبمسبباتها ونتائجها، التي لا تقف عند حدود نزوح هؤلاء، بل تتعداها إلى مستوى الأثار البيئية والاقتصادية وتداعياتها المستقبلية.

مدير هيئة تطوير الغاب صرح لإحدى الوسائل الإعلامية بوقت سابق قائلاً: «إن هذه الحرائق حصلت بفعل فاعل من حيث الطريقة المتبعة بإشعال عدة حرائق بنفس الوقت بأكثر من منطقة»، مضيفاً: «يوجد ضعف بالإمكانات والتجهيزات المتوفرة لدينا ونعمل على إخماد هذه الحرائق ضمن هذه الإمكانات، حيث توجد سيارة إطفاء واحدة فقط، وعدد آخر تحتاج إلى إصلاح».

استهتار واهمال

سكان المناطق التي أتت عليها الحرائق والمتضررين منها كانوا مستغربين من تفاعل الجهات الرسمية وخاصة المعنية منها مع هذه الحرائق، حيث كانوا بنظر الأهالي مستهترين وكأن الأمر لا يعنيهم، أو كأن الحريق في بلد آخر، ولعل آخر هم للأهالي يتمثل بإعفاء بعض المسؤولين هنا أو هناك رغم أهمية مثل هذه الإجراءات أحياناً، بل ما يعنيهم هو الإجراءات العملية المتخذة بشأن استمرار وامتداد هذه الحرائق ومنع وقوعها لمرات ومرات أخرى، حيث يتساءل الأهالي عن سيارات الإطفاء التي كانت تأتي من المحافظات كلها عندما ينشب حريق بهذا الحجم، كما يتساءلون عن المروحيات المخاصة بإطفاء الحرائق وعن أسباب غيابها عن العمل، والتساؤل الأهم لدى هؤلاء هو: متى سيتم إلقاء القبض على مفتعلي هذه الحرائق التي تأتي على آلاف الهكتارات سنوياً، ومن خلفهم من تجار وفاسدين ومنتفعين، ومحاسبتهم على سلوكهم الإجرامي المتمثل بالقضاء على الغطاء النباتي والتنوع الحيوي في المنطقة بشكل خاص، مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج مدمرة على المستوى البيئي والاقتصادي بشكل عام.

استحقاق متكرر بكوارث بيئية

يشار إلى أن الحرائق كانت قد أتت على بعض الأحراج والغابات خلال شهر نيسان المنصرم، كما طال بعضها أحراج وغابات اللاذقية في وقت سابق، وهذه السلسلة من الحرائق التي تطال الغابات والأحراج لم تعد مفاجئة بالنسبة للأهالي في تلك المناطق كلها، كما بالنسبة لغالبية السوريين، حيث تتكرر سنوياً ومنذ عقود، ولكنها قد تكون تزايدت خلال سني الحرب والأزمة بظل واقع الانفلات وغياب الرقابة، بالإضافة إلى تزايد المستفيدين على هامش هذه الحرائق، اعتباراً من تجار الخشب والفحم والحطب، مروراً بتجار الأراضي والعقارات، وليس انتهاءً بالشكوك ببعض الأطراف التي لها مصلحة مباشرة بإحداث كوارث بيئية ندفع ضريبتها آنياً ومستقبلياً.

مستلزمات وضرورات

مع هذه الأطراف الفاعلة والمستفيدة كلها من الحرائق لا بد من أن يكون هناك إجراءات تتناسب مع إمكانات هذه الأطراف المجرمة التي لم تعد تعمل وفق النموذج الفردي، بل أصبحت تعمل وفق نموذج جماعي، بدليل افتعال الحرائق المتزامنة بمناطق متباعدة.

على ذلك فإنه من الواجب تأمين المستلزمات كافة التي تمنع هؤلاء من عملهم أولاً وتحد من نتائج هذه الأعمال ثانياً، ولعل ذلك يكون بزيادة أعداد الحراس العاملين بالحراج والغابات، وزيادة أعداد سيارات الإطفاء العاملة في المنطقة وفي القرى مع تأمين جاهزيتها بشكل دائم، بالإضافة إلى أهمية تأمين وسائط حديثة للتعامل مع هذه الكوارث بشكل أوسع وأسرع، وخاصة في المناطق الوعرة صعبة الوصول، مع ضرورة التوسع بالتحقيقات الجارية بهذا الشأن لمعرفة المسببين بها والمستفيدين منها، وعدم الاكتفاء بتسجيل مثل هذه الواقعة الجرمية بعبارة «سجلت ضد مجهول».

رأس الشغري في طرطوس من التململ إلى الغضب

التململ سمة عامة طاغية لدى أهالي حي رأس الشغري في طرطوس، بسبب واقع الإهمال الرسمي بالتعاطي مع هموم ومعاناة هؤلاء المزمنة، وقد بدأت مظاهر التململ هذه تتحول إلى الغضب مؤخراً، إثر إغلاق الطرق المؤدية إليه منذ ما يقرب الشهرين وحتى الآن.

■ مراسل قاسيون

رأس الشغري هو أحد أحياء مدينة طرطوس المصنف بأنه من أحياء المخالفات والعشوائيات المحيطة بالمدينة، وهو لا يختلف عن غيره من الأحياء الأخرى المتصلة، والتي تشكل منطقة سكانية واسعة تضم أحياء «وادي الشاطر- الرادار- رأس الشغري- أبو عفصة- الزهراء».

عزلة عن العالم الخارجي

هذا الحي يتصل مع العالم الخارجي عبر مدخلين فقط يقعان مقابل مشفى الباسل، وقد تم إغلاق هذه المداخل منذ فترة قريبة، مما سبب معاناة حقيقية للقاطنين بهذا الحي حيث لم تعد وسائط النقل تدخل الحي ما يعني المزيد من المعاناة على المستوى الفردي، حيث أصبحت مدة الوصول إلى المدينة ومنها تأخذ وقتاً طويلاً قد يصل إلى الساعات، بعد أن كانت لا تتعدى عشرة دقائق، ناهيك عن الجهد والتعب المرتبط بالاضطرار للمسير لمسافات طويلة، وحتى على مستوى تأمين سبل العيش والمعيشة المتمثلة بإدخال المواد والسلع وحاجات الاستهلاك اليومي إلى المحال الموجودة بالحي، وما يترتب على ذلك من رفع أسعارها بنتيجة ارتفاع التكاليف جراء هذا الإغلاق، كما أن الكثير من هذه المحال توقفت عن تقديم خدماتها بسبب إغلاق الطرق وارتفاع التكاليف والعناء بنقل البضائع.

أحد الأهالي وصف حال الحي بأنه أصبح يشبه السجن بعد عزله عن وسطه المحيط بهذا الشكل.

لا آذان صاغية

سكان الحي كانوا قد طالبوا مسؤولي المحافظة بإيجاد حل لمعاناتهم التي فرضت عليهم مؤخراً، ولكن لم تجد تلك المطالبات أية أذن صاغية حتى تاريخه، وهم على ذلك بدأوا برفع أصواتهم المطالبة بفتح المداخل المؤدية إلى الحي، وقد هدد السكان بجلب تركس لفتح هذه المداخل من قبلهم دون العودة للجهات الرسمية، بحال لم تجد تلك الجهات حلاً لمعاناتهم هذه، خاصة وأن واقع الوصول إلى الحي ستزداد صعوبة خلال فصل الشتاء بحال لم توجد الحلول المناسبة لها، وأحد المطالب كان بوضع حاجز على أحد المداخل المؤدية للحي أسوة بغيره من الأحياء، بحال كان السبب من خلف الإغلاق أمنياً، حيث أن الأعباء المترتبة على وضع هذا الحاجز لا يمكن مقارنتها بالأعباء المترتبة على الأهالي والقاطنين بهذا الحي.

أسباب مزمنة للمعاناة

يشار إلى أن معاناة أهالي حي رأس الشغري لم تبدأ مع إغلاق الطرق المؤدية إليه مؤخراً، بل كانت هذه المعناة قد بدأت منذ أن أصبحت هذه الرقعة الجغرافية من المدينة تستقطب أصحاب الدخل المحدود وفقراء الحال من أجل الحصول على مسكن ومأوى، بظل ارتفاع أسعار العقارات وغياب دور الدولة في استيعاب التوسع السكاني في المدينة بشكل منظم منذ نهاية الألفية المنصرمة، وهو على ذلك كما غيره من أحياء المخالفات الممتدة على طول الخارطة السورية يفتقر إلى الخدمات الجيدة والمنظمة، والتي أضحت سبباً مباشراً لمعاناة الأهالي في هذا الحي كغيره من الأحياء المهملة، علماً أن الاستقطاب السكني في هذا الحي، كما في المنطقة المتصلة كلها، لم تتوقف بل ازدادت بنتيجة الاحتياج المتنامي للسكن وغياب الدور الرسمي للدولة بهذا المجال، مما فسح المجال للمزيد من الاستغلال لهذه الحاجة من قبل تجار العقارات والسماسرة وبعض المتنفذين، على حساب أصحاب الدخل المحدود وفقراء الحال من المواطنين، حيث ما زالت تلك المنطقة بين أخذ ورد لدى الجهات الإدارية على مستوى التنظيم، كما على مستوى الخدمات.

في الحسكة رغيف الخبز حسب الولاءات

تأمين رغيف الخبز بات هاجساً يومياً يستيقظ عليه أبناء مدينة الحسكة، كما يجافيهم النوم تفكيراً به، بعد أن تعددت أنواع المعاناة بالنسبة لهم كما تعددت أسبابها، بين تلك السيئة والأكثر سوءاً، اعتباراً من الخدمات وخاصة على مستوى المياه والكهرباء، مروراً بالمواد الأساسية وخاصة الغذائية وارتفاع أسعارها، وليس انتهاءً بالواقع الأمني والعسكري.

■ مراسل قاسيون

وقد ازدادت هذه المعاناة بعد توقف أحد المخابز الآلية في وسط المدينة بسبب عطل فني، حيث يوجد في مدينة الحسكة ثلاثة مخابز آلية للدولة فقط، وستة أفران نصف آلية وثلاثة أفران تموينية عادية، بالإضافة إلى بعض الأفران السياحية والتنور، للقطاع الخاص، كما تزايد التعداد العام للقاطنين بالمدينة بعد توافد أعداد كبيرة من النازحين إليها من مختلف المناطق القريبة والبعيدة، بنتيجة الحرب والأزمة.

رغيف اختلط بالدماء

أهالي المدينة لم ينسوا مشهد رغيفهم الذي اختلط بالدم على أثر الهجوم الإرهابي الذي نفذه أحد الفاشيين بتفجير نفسه على باب أحد الأفران بمنطقة العزيزية، والذي ذهب ضحيته بحدود 40 شهيداً و 80 جريحاً، خاصة وقد أصبح تأمين هذا الرغيف من الصعوبة بمكان، بظل احتكار المخبزين الآليين الآخرين من قبل المتنفذين في المدينة، حيث مخبز آذار محتكر من قبل بعض المحسوبين على الإدارة الذاتية ولحسابهم ولمصلحة أتباعهم فقط، ومخبز الباسل محتكر للمحسوبين على جهاز الدولة، بمؤسساته المختلفة، ولحسابهم ولمصلحة أتباعهم فقط، بحيث لم يبق للمواطن العادي إلا اللجوء للبائعين المحسوبين على الطرفين والذين يبيعون ربطة الخبز بسعر يتفاوت بين 150 ليرة و 200 ليرة حسب واقع الحال، في استغلال مباشر لحاجة المواطنين، التي تأتي أياماً لا تتوفر فيها المادة أيضاً، فيضطروا لشراء البديل السياحي الذي وصل سعر رغيف الخبز فيه إلى 50 ليرة، وذلك حسب الإمكانات المادية المتوفرة لدى هؤلاء، ومدى حاجتهم، بالإضافة إلى الاعتماد بشكل أكبر على البرغل والرز كبديل منزلي لعدم توفر المادة، ما يزيد من معدلات الإنفاق الأسري بالنتيجة.

الملفت للنظر أن بعض البائعين يقفون أمام المباني الرسمية ويبيعون الربطة بهذه الأسعار، مما يكسب هذا البيع غير المشروع صفة شبه رسمية أمام أعين الرقابة المتمثلة بالقائمين على إدارة هذه المباني الحكومية.

شكل جديد للاستغلال والاثراء

أحد الأفران الخاصة قام بالاتفاق مع الأهالي على نظام الاشتراك الشهري المقطوع بـ 3000 ليرة شهرياً، مقابل ربطة خبز واحدة باليوم، بمعدل 100 ليرة للربطة، وقد بلغ عدد المشتركين لديه 1000 مشترك من المواطنين، وهو لا يبيع المواطنين الآخرين بذريعة التزامه بالمشتركين لديه، ومع ذلك يتوقف هذا الفرن عن العمل أربعة أيام بالشهر، ما يعني فقدان 400 ليرة من حساب المشترك لحساب صاحب الفرن، أي 40 ألف ليرة شهرياً هي أرباح إضافية صافية يحصل عليها صاحب هذا الفرن دون عناء وجهد وتكلفة، ناهيك عن أرباحه الأخرى غير المشروعة والمتمثلة بالفارق بين السعر النظامي لربطة الخبز والـ 100 ليرة الذي يتقاضاها، بعيداً عمن يتابع جوازية قوننة مثل هذا الأمر، سواء ناحية المخصصات وهل يستهلكها فعلاً لتغطية احتياجات الـ 1000 مشترك لديه، أو ناحية السعر المفروض من قبله لقاء هذه الخدمة، أو من حيث الامتناع عن بيع المادة للمواطنين الآخرين.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن نوعية الخبز بشكل عام داخل المدينة سيئة ناحية المواصفة، سواء من حيث المواد الداخلة بالعملية الإنتاجية وخاصة الطحين، أو من حيث التصنيع ناحية الاسمرار وعدم النضج بسبب سوء التخمير، وغيرها من الأسباب التي تجعل من هذا الرغيف سيئاً بشكل عام، ومع ذلك ترى الناس يلجؤون إلى تغليف ما يحصلون من هذه المادة عن أعين بعضهم البعض، وكأنهم قد حصلوا على ثروة وكنز.

أهالي المدينة لم ينسوا مشهد رغيفهم الذي اختلط بالدم على أثر الهجوم الإرهابي الذي نفذه أحد الفاشيين بتفجير نفسه على باب أحد الأفران بمنطقة العزيزية

نقص المادة بحاجة لحلول

عموماً ما هو واضح أن هناك نقصاً حاداً بتوفر المادة، مما يوقع المواطنين تحت وطأة الاستغلال، وبغض النظر عن بعض الإجراءات التي يمكن أن تتمثل بتغيير جزئي هنا أو ترقيع آخر هناك على المستوى الإداري والتنفيذي في طواقم الأفران والمستودعات وغيرها، فإن المشكلة المتمثلة بنقص المادة لا تحل إلا عبر محورين أساسيين، الأول هو: زيادة الكميات المخصصة وساعات التشغيل بما يتناسب مع التعداد السكاني وحاجاتهم، والثاني هو: بكسر حلقات الاستفادة والفساد التي تشكلت على هامش حاجة الناس لهذه المادة، وذلك عبر تشديد وسائل الرقابة وتحسين آلياتها، مع اتخاذ العقوبات الجدية والرادعة بحق المتلاعبين بقوت المواطنين الأساسي والمتمثل برغيف الخبز، مع وقف الامتيازات كلها التي تم فرضها من قبل الأطراف المتنفذة بما يتعلق بهذا الرغيف، فهو حاجة ضرورية حياتية ومعيشية عامة من المخزي أن تكون بمعرض البازارات والولاءات والمنافع، خاصة بظل تبجح هذه الأطراف عن كونها مدافعة عن الناس وحقوقهم ومستقبلهم.

دير الزور.. الحصار وأشياء أخرى!

فيما يستمر حصار الأحياء في دير الزور من قبل التنظيم الفاشي التكفيري داعش، منذ أكثر من سنة ونصف، وإهمال الحكومة وفساد المسؤولين، تتصاعد المعاناة من اختفاء الكثير من أبسط مقومات الوجود والحياة، وهي الماء والغذاء، سواء بندرتها أو انقطاعها المستمر، حيث انقطعت المياه منذ أكثر من عشرة أيام، ناهيك عن الغياب التام للكهرباء والمواصلات وغيرها.. وندرة الخبز الذي يباع بالقطارة من قبل بعض المستفيدين والمتحكمين بقوت الناس، إضافة للفساد والنهب المستشري والمتاجرة بأرواح البشر من قبل بعض المسؤولين الفاسدين أو من قبل تجار الأزمة!

■ قاسيون

رغم تواتر إنزال المساعدات الروسية من المواد الغذائية عبر الطائرات بالمظلات، حيث بلغت في الأسبوع الأخير ثلاث مرات، شملت العشرات من الأطنان.

وجبة الفطور «معضلة»!

في الجورة والقصور هنالك يومياً تحدث معضلة مستعصية اسمها «الفطور» التي تقتصر على غرامات من بعض المواد الغذائية لعائلة كاملة، الأب والأم والأبناء، وتشمل مثلاً: 100غ سمنة بـ 550 ليرة لعدم توفر الزيت، وإن وجد فاللتر بـ 3500 ليرة فقط.. وزعتر «دهني» صناعة محلية بـ 500 ليرة و 350 غ لبن رائب «خاثر» بالتسمية المحلية بـ 800 ليرة؛ وظرف شاي بـ 125 ليرة لصبغ الماء فقط وبدون سكر؛ ويتم تناولها بالخبز اليابس فطوراً لا يغني ولا يسمن من جوع، ولا يحافظ على الحياة، ولصباح يوم واحد فقط بتكلفة 2000 ليرة تقريباً.!؟

وإذا حسبنا ذلك في الشهر هذا يعني 60 ألف ليرة فقط لا غير.

وجبة غداء «معضلة أخرى»!

يقول أحد المحاصرين: قررنا أن نفديها اليوم بوجبة غداء معتبرة ودسمة «مقلوبة باذنجان» وتشمل المواد التالية: 600غ باذنجان بـ 1800 ل.س، ومكعبات ماجي عدد 2 بـ 300 ل.س، وبهارات بـ 600 ل.س، أي 2700 ليرة، هذا عدا قيمة الرز الذي حصلنا عليه من المساعدات الغذائية، ويضيف: طبعاً قشور الباذنجان «قلتها» زوجتي وعملتها فطوراً لبناتي... أقسم هذا ما آلت إليه أحوالنا.!

وأيضاً بحسبة بسيطة تكون تكلفة ذلك لمدة شهر 71 ألف ليرة، ويكون مجموع الوجبتين 131 ألف ليرة، وإذا اعتبرنا أن الأسرة تتناول هاتين الوجبتين يومياً فقط، فهو يعادل خمسة أضعاف راتب موظف أو عامل، وهو الراتب التي تمنن الحكومة المواطنين به.! فكيف للمحاصرين أن يعيشوا، ومن أين يحصلون على تكلفة بقائهم على قيد الحياة فقط.!؟

الفاسدون وحماتهم.!

ألقت عناصر شرطة محافظة دير الزور القبض على لصين يقومان بسرقة المبيدات الحشرية من مستودع مرآب البلدية، ويبيعانه كبنزين نظامي، بعد إضافته للبنزين المكرر، حيث له خاصية اشتعال تضاهي الكيروسين ولكن أضراره خطيرة وقاتلة.

يشار إلى أن هذه المادة تم استلامها من مشروع النظافة «الوهمي» الذي تعاقدت عليه غرفة تجارة وصناعة دير الزور مع undp وكان منتهي الصلاحية آنذاك، وتم استجراره سابقاً «تنفيعة» لأحد التجار، وربح المتعاقدون الذين آخر همهم كان خدمة أبناء بلدهم .

وقال أحد المواطنين: «شكراً لـ اللصّين الصغيرين، اللذين لولاهما لما انكشف الفساد ومن خلفه..!»

وتساءل آخرون: لماذا لم يتم كشف ذلك سابقاً؟ وطالما انكشف الفساد الآن لماذا لم يحاسب الفاسدون والتجار.. أم أنّ هناك من يحميهم.!؟

اللاجئون السوريين في الأردن استغلال وجوع

تشير التقارير الرسمية وفقاً لإحصاءات المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، أن عدد اللاجئين في الأردن قد تجاوز 650 ألف لاجئ، وذلك حتى نهاية شهر حزيران المنصرم، حيث تم الإعلان عن هذا الرقم بتاريخ 2016/7/7 من قبل المتحدث باسم المفوضية في الأردن.

■ قاسيون

وقد أشار محمد الحواري المتحدث باسم المفوضية أنه تم تسجيل ما يقارب 39 ألف لاجئ سوري منذ مطلع العام الجاري فقط، كما أوضح أن 516 ألف لاجئ تقريباً يعيشون في المدن والقرى الأردنية بنسبة 78,5% فيما يقطن الباقون والبالغ عددهم 141 ألفاً في المخيمات بنسبة 21,5%.

تضخيم رقمي

مع الأخذ بعين الاعتبار تباين الأرقام المعلنة من قبل كل من الأردن الذي يدعي بوجود مليون و 300 ألف لاجئ سوري، وبين الرقم المعتمد من قبل المفوضية السامية والذي يقول بوجود ما يزيد عن 650 ألف منهم، في حين يعتبر البعض أن الرقمين أعلاه فيهم الكثير من المبالغة، في إشارة إلى استفادة الأردن من واقع التضخيم الرقمي وخاصة على مستوى استقطاب المساعدات.

معدلات الفقر مرتفعة

المتحدث باسم المفوضية أشار إلى ارتفاع نسبة اللاجئين تحت خط الفقر وبلوغها نسبة 90%، مبرراً ذلك بالنقص بالمساعدات، وطول مدة الأزمة التي جعلت هؤلاء يستنفذون مدخراتهم كلها.

وفي تقرير منفصل صادر عن المفوضية، وهو تقرير عن منتصف عام 2016 حول خطة الاستجابة الإقليمية لدعم اللاجئين وتمكين المجتمعات المستضيفة لهم، حذر التقرير من تزايد الفقر، مشيراً إلى أن أكثر من 67% من اللاجئين السوريين في الأردن يعيشون تحت ثقل الديون وأن 90% منهم تحت خط الفقر.

واقع سيئ وإجراءات أسوأ

واقع سيئ على المستويات كلها هو ما يعيشه اللاجئون السوريون في الأردن، وخاصة من يعيش منهم داخل المخيمات، حيث التدني بالخدمات والنقص بالإمدادات الغذائية والدوائية وغيرها، وعلى الرغم من تدفق المساعدات المالية والعينية الدولية إلى الأردن، وقد أشارت مصادر إعلامية على لسان عمال إغاثة دوليين أن الأردن كان قد أوقف قوافل الطعام المتوجهة إلى مخيم الركبان الذي يضم آلاف اللاجئين السوريين الموجودين على طرف الحدود من الجانب الأردني، وذلك بنهاية شهر حزيران المنصرم، على أثر إغلاق الجيش الاردني لهذه المنطقة عقب هجوم انتحاري على حدوده.

لا بد من الإشارة هنا إلى عدم قدرة الكثير من اللاجئين السوريين، الذين يقيمون خارج المخيمات على تأمين تكاليف الرعاية الطبية، وذلك بسبب قرارات السلطات الأردنية التي فرضت بموجبها تقاضي رسوم علاج من اللاجئين منذ تشرين الثاني 2014، ناهيك عن عدم حصول البعض الآخر منهم على الرعاية الصحية جراء افتقاره للوثائق اللازمة كي تجعله مؤهلاً للحصول عليها، ناهيك عن الصعوبة بتأمين المتطلبات الأخرى من مأكل وملبس وغيرها من أساسيات الحياة، وعلى الرغم من اتخاذ بعض الإجراءات مؤخراً بما يخص قونتة عمل السورين وذلك بمنحهم تراخيص عمل، الأمر الذي بدأ يرخي بظلاله على الداخل الأردني بين معارض وموافق على مثل هذا الإجراء بظل واقع العمالة الأردنية والخشية من المنافسة السورية لها، كما الخشية مما يشاع عن إمكانية التوطين اللاحق لهؤلاء مستقبلاً، ما يشكل تخوفاً حقيقياً لدى الاردنيين، لم يخفه نوابهم، وقد عبروا عن ذلك في مجلسهم علناً في غير مرة.

وفي تقرير لمنظمة العفو الدولية مطلع آذار 2016 أن العوائق التي خلقتها الحكومة الأردنية، جعلت اللاجئين السوريين غير قادرين على الحصول على الرعاية الصحية وغيرها من الخدمات الحيوية.

منح مالية ومساعدات

يشار إلى أن المجتمع الدولي، التزم بمليارين ومئة مليون دولار أميركي على مدار السنوات الثلاث المقبلة على شكل مساعدات مالية للأردن من أجل تمكينه في معالجة شؤون اللاجئين السوريين، وذلك في مؤتمر المانحين الذي عقد في لندن خلال شهر شباط 2016.

وقد بدأت ألمانيا بتسديد الدفعة الأولى من مبلغ 10 ملايين يورو لتمويل مشروع على مدار 30 شهراً من أجل تحسين حياة آلاف اللاجئين السوريين وايجاد فرص عمل لهم، وذلك خلال الشهر الحالي، على أثر تعهدها في مؤتمر المانحين أعلاه، من أجل دعم الأردن وتمكينه من معالجة قضية تدفق اللاجئين السوريين.

تسرب من التعليم

على جانب آخر تم توقيع اتفاقية منحة بقيمة 39 مليون دولار أمريكي مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» وذلك من أجل دعم الخدمات التعليمية للأطفال السوريين اللاجئين في الأردن، وذلك في النصف الثاني من الشهر الحالي أيضاً، مع العلم أن هناك تسرباً من التعليم على مستوى الأطفال السوريين اللاجئين في الأردن، وذلك لعدة أسباب، أحدها وأهمها أن بعض هؤلاء كانوا مضطرين للعمل من أجل تأمين مصدر دخل إضافي يساعد ذويهم على متطلبات المعيشة المرتفعة، مع كل ما يتعرضون له من استغلال، اعتباراً من تدني الأجور، مروراً بساعات العمل الطويلة، وليس انتهاءً بالقيام بالأعمال العضلية والمجهدة، مع النتائج السلبية المترتبة على هذا الشكل من العمالة، التي لا تقف عند حدود التسرب من التعليم فقط.

بانتظار الحل من أجل العودة

لسان حال اللاجئين السوريين الموجودين في الأردن يقول «ثوب العيرة ما يدفي، وإن كان دفى ما يدوم»، وهم على ذلك ينتظرون كما غيرهم من السوريين أن تنتهي أزمتهم عبر الحل السياسي الشامل، من أجل أن يعودوا إلى وطنهم ومدنهم وقراهم وبلداتهم وبيوتهم، ليعمروها مجدداً ويستعيدوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، حيث لم يخرجوا من بلدهم ووطنهم إلا بحثاً عن الأمان من شدة الأهوال التي رأوها وعاشوها، والدمار الذي لحق ببيوتهم ومناطقهم.

أراضي «بشراغي» المستصلحة قيد نزع الملكية

تداولت بعض وسائل الاعلام وبعض صفحات التواصل الاجتماعي خبراً مفاده أن لجنة من مديرية زراعة اللاذقية قامت بتسجيل مئات الدونمات من أراضي قرية «بشراغي» بريف جبلة تمهيداً لنزع ملكيتها من الفلاحين لمصلحة وزارة الزراعة، بذريعة عدم استصلاحها أو زراعتها من قبل أصحابها والقائمين عليها.

■ مراسل قاسيون

وقد بدأت الإخطارات بكف اليد ترد إلى الفلاحين، مما أثار حفيظتهم وسخطهم على هذا الإجراء، حيث يعتبر هذا الإجراء بمثابة القطع لمصدر الرزق لهؤلاء، حيث وأن الأراضي التي طالتها مديرية الزراعة بنزع الملكية عنها هي أراضي مزروعة بالأشجار المثمرة، بعكس ما دونته لجان مديرية الزراعة، حسب أقوال الأهالي.

بعض الأهالي يقول: إن أشجار الزيتون الموجودة في هذه الأراضي عمر بعضها يزيد على عشرين عاماً، فكيف يمكن أن يتم اعتبارها غير مستصلحة أو غير مزروعة، وقال بعضهم: أنه من الأجدى أن تقوم وزارة الزراعة بتقديم العون للفلاحين عبر تأمين وسائل الاستصلاح لهذه الأراضي وليس نزع ملكيتهم عنها، حيث أن بعض هؤلاء كانوا قد ورثوا هذه الأراضي عن آبائهم وأجدادهم من قبلهم، حسب أقوالهم.

التشكيك من قبل الأهالي كان بالخلفية التي أدت إلى مثل هذا الإجراء من قبل مديرية زراعة اللاذقية في هذا الوقت، والخشية من أن يكون وراء هذا الإجراء بعض التجار والسماسرة من أجل المزيد من الإثراء على حسابهم عبر نزع الملكية الآن، ليصار إلى استثمارها من قبل هؤلاء لاحقاً على شكل مشاريع عقارية أو سكنية أو سياحية وغيرها من المشاريع الاستثمارية، التي غايتها أولاً وأخيراً المزيد من تكديس الأرباح في جيوب هؤلاء على حساب المزيد من الإفقار للفلاحين الذين استصلحوا الأرض وزرعوها وعاشوا من غلالها.

وللحديث تتمة بانتظار جلاء الخبر.

فُرضت العقوبات الغربية على روسيا، ثم بدأت حرب النفط وتخفيض أسعاره، التي تزامنت مع حرب عملات دولية، ومجمل هذه العوامل خسّرت الروبل الروسي أكثر من ثلث قيمته خلال عام ونصف بين منتصف 2014 وبداية عام 2016، ليبدأ الروبل بعدها بالتعافي والاستقرار..

ماذا فعلت روسيا لمواجهة تراجع الروبل؟!

فكيف تصرف الرّوس لحماية عملتهم الوطنية؟ قاسيون تستطلع تجربة السياسة الاقتصادية الروسية للتعامل مع تراجع العملة الوطنية خلال العامين الماضيين..

فرضت الدول الغربية عقوبات على روسيا منذ شهر 3–2014، ولحق هذا تراجع أسعار النفط العالمية، من 115 دولار في 6–2014، إلى 40 دولار للبرميل حالياً، وبالنتيجة انتقل سعر صرف الروبل الروسي مقابل الدولار من 35 في 4–2014، إلى مستوى الذروة في شهر 1–2016 حيث وصل السعر إلى 83 روبل/دولار. ليخسر الروبل 37% من قيمته، أي أكثر من ثلث القيمة خلال سنة ونصف تقريباً. إلا أن الروبل عاد للتعافي السريع منذ بداية العام الحالي، لينتقل من 83 في 1–2016، إلى 64 روبل/دولار في 2–7–2016، أي خلال نصف عام استطاع الروبل أن يستعيد 17% من قيمته رغم أن أسعار النفط لم تتحسن، والعقوبات لم تلغ!

المالي والنقدي مؤقت..

بدأت الحكومة الروسية بمواجهة تراجع الروبل، بالسياسات النقدية والمالية المعتادة حيث بدأت عمليات ضخ الدولار في السوق الروسية المحلية بعد منتصف عام 2014، بمعدل 350 مليون دولار يومياً، ثم قامت برفع معدلات الفائدة لإبقاء الودائع في المصارف ومواجهة هروب رؤوس الأموال، لترتفع من معدل 8% في منتصف 2014، إلى 17% في بداية عام 2015.

إلا أن كلا السياستين التقليديتين في مواجهة انخفاض سعر العملة المحلية، قد توقفتا، ففي شهر 11–2014، أعلنت رئيسة المصرف المركزي الروسي، عن إيقاف عمليات الضخ، على اعتبارها عملية استنزافية للاحتياطي الروسي المقدر بـ 400 مليار دولار في حينه، بحسب تعبيرها.

كما بدأ في بداية عام 2015، تخفيض سعر الفائدة، بهدف تحفيز عملية الإقراض عوضاً عن رفع سعر الفائدة، للإبقاء على رؤوس الأموال داخل البلاد، حيث انخفض معدل الفائدة من 17% إلى 15%، ليتم الاستقرار منذ بداية العام الحالي على سعر فائدة 11%.

سجلت روسيا خسائر من العقوبات ومن انخفاض أسعار النفط، قدرت حتى منتصف 2015 بحوالي: 25 مليار دولار تقريباً، وبالمقابل وفي الوقت ذاته، أعلنت الحكومة عن استخدام جزء من احتياطاتها في خطة حكومية لاستثمار 35 مليار دولار في الاقتصاد المحلي، وكان هذا بداية استراتيجية متكاملة لمواجهة الأزمة، تميزت بقيامها على مجموعة من الخطط، كل منها تحل نسبة 10–15% من التراجع في سعر الروبل، وإذا ما تم النجاح في تنفيذ 60% من هذه الخطط بنجاح، فإنها تحل الأزمة بنسبة 80%، وفق تحليل اقتصادي قدمه الاقتصادي المصري رشاد عبده.

المواجهة.. والتوجه شرقاً

الإجـــراءات الروسيـة كانـت سياسية واقتصادية، حيث بدأت بمواجهة واضحة للعقوبات، والرد بتعليق استيراد البضائع من دول الغرب، اعتباراً من شهر 8–2014، كما أنها أصـدرت قانـون يتيح مصادرة الأموال غير المنقولة للشركات الأمريكية والأوروبية.

وأرفقت هذا بتوسيع متسارع لعلاقاتها التجارية والاقتصادية مع دول الشرق، وكان في مقدمتها توقيع صفقة الغاز التاريخية مع الصين في شهر 5–2014 بقيمة 300 مليار دولار، وانتقلت الصين إلى الشريك التجاري الأول لروسيا، لتنحي الاتحاد الأوروبي عن هذا الموقع، كما وسعت من التعاون الاقتصادي في إطار الاتحاد الأوراسي، ومنظمة شانغهاي.

تخفيض الميزانية.. ولكن!

يظهر تركيب الحلول الاقتصادية في التعامل مع الميزانية الروسية، حيث تصر التصريحات الرسمية على أن تخفيض الميزانية والضبط في استخدام الاحتياطيات النقدية، هو أمر ضروري على ضوء التراجع بالموارد، إلا أنها وضعت حدوداً لهذا التخفيض.

حيث أعلن عن تخفيض نفقات الميزانية، ولكنها بقيت نسبة ثابتة من الناتج الإجمالي قرابة 18%، وتم التأكيد على أن التخفيض لن يستمر، حيث خفضت النفقات في عام 2015، بنسبة 10%، واعلن عن تخفيضها بنسبة أقل 5% في الأعوام بين 2016– 2018. وفق تقرير البنك الدولي حول روسيا الصادر في نيسان 2016.

الإنفاق الاجتماعي.. وأسعار الغذاء

أما وجهات تخفيض الإنفاق فقد بدأت بإشارات قوية معطية الدلالات على مسارها، فكان أولها ما أعلن عنه الرئيس الروسي بتخفيض رواتب كبار الموظفين: الرئيس والحكومة والوزراء بنسبة 10%، وكذلك جملة من المواقع الكبرى مثل المدعي العام ورئيس لجنة التحقيق، وغيرها.

النقطة الثانية في تخفيض الميزانية، هو التأكيد على أن التخفيض في الإنفاق الإجمالي، يجب أن يترافق مع زيادة في النفقات الاجتماعية.

حيث أكد رئيس الوزراء الروسي مدفيديف، في تصريحاته المتلفزة في نهاية عام 2015، بأن الأولوية لزيادة حقيقية لتمويل الالتزامات الاجتماعية بنسبة 6%، وكانت الزيادة في الإنفاق الاجتماعي في عام 2015 قد بلغت 16%، وظهرت نتائج هذا الإنفاق في انخفاض سريع في تضخم أسعار الغذاء في عام 2016، حيث عاد تضخم الغذاء في شهر 7–2016 إلى مستوى 5%، وهو مستوى بداية 2014 أي قبل الأزمة، رغم وصوله في عام 2015 إلى 25%.

أي أن أسعار الغذاء ارتفعت بمقدار الربع في ذروة الأزمة، ثم عادت إلى مستوياتها السابقة.

المعلم الأساسي في السياسة الاقتصادية الروسية، بعد العقوبات، وتراجع النفط، وتراجع الروبل، هو سياسة إحلال الواردات، وتنويع القاعدة الإنتاجية

للإنتاج دَر..

المعلم الأساسي في السياسة الاقتصادية الروسية، بعد العقوبات، وتراجع النفط، وتراجع الروبل، هو سياسة إحلال الواردات، وتنويع القاعدة الإنتاجية، بتمويل من الاحتياطيات الحكومية، أو عبر الإنفاق في الموازنة.

نما الإنتاج الزراعي الروسي بنسبة 4،4% في عام 2014، ومع التراجع الكبير في استيراد الغذاء في روسيا، نتيجة المنع المباشر، فإن القطاع قد شهد توسعاً هاماً في إنتاجه المحلي، مستفيداً من فرصتي، منع الاستيراد وعدم وجود منافسة خارجية، ومن فرصة انخفاض التكاليف نظراً لانخفاض سعر الروبل التي تتيح فرصة تصديرية هامة للحبوب الروسية.

الأهم من هذا وذاك، هو خطة الحكومة لتقديم دعم زراعي مباشر بمقدار 568 مليار روبل، وحوالي 11 مليار دولار تقريباً، اعتباراً من بداية عام 2015 وحتى 2020. المطلوب من الإنفاق على الدعم الزراعي من الميزانية، تغطية نقص الواردات واستبدال 67% من واردات الخضار و50% من واردات اللحوم و30% من واردات الحليب، كما ورد في تصريحات وزير الزراعة الروسي بتاريخ 3–12– 2014.

مواجهة الهدر في موارد الزراعة

ومع التوسع الهام في قطاع تصدير الحبوب، فإن التركيز يصب في هذا القطاع باتجاهين، الأول: هو توسيع الصادرات نحو الشرق، والثاني: هو تنظيم صادرات القطاع، عبر التقليص من دور الشركات الوهمية التي تعمل على التصدير بطريقة «الأوف شور» لتجنب دفع الضرائب، أي زيادة العائدات الحقيقية من قطاع التصدير، وإيقاف الهدر الناجم عن طرق التصدير التي كانت سائدة، يضاف إلى هذا أن الرئيس الروسي، أعلن أنه اعتباراً من 1–2016 سيتم وضع الإطار القانوني لمصادرة أملاك الأراضي الكبيرة التي لا يستثمرها كبار الملاكين، حيث أشار في رسالته السنوية التي وجهها إلى الجمعية الاتحادية الروسية: «من الضروري أن يتم استغلال ملايين الهكتارات من الأراضي الصالحة للزراعة، والتي هي غير مستغلة حاليا، وفي أيدي كبار مالكي الأراضي، والكثير منهم ليس في عجلة في الانخراط في العمل الزراعي».

تحريك معامل الدولة..

أعلن بتاريخ 1–2016 عن خطة بمقدار 1،25 مليار دولار تمويل خطة لمواجهة الأزمة الاقتصادية في البلاد، وهدفها دعم الصناعة، ومن ضمنها الصناعة العامة، وبالدرجة الأولى صناعة السيارات وسائل النقل، والصناعات الخفيفة، والبناء، وهذه الأموال المخصصة قد تزيد إذا لزم الأمر.

والنتيجة كانت سريعة، حيث أن الصناعة الروسية التي خسرت في 1–2015 نسبة: 1،5% من نموها، عادت خلال نصف عام 2016 إلى النمو بمقدار 0،4%، عن مستوى عام 2014. حيث في حزيران 2016، نما مؤشر الإنتاج الصناعي الروسي بنسبة 1،7% عن 6–2015، وكان التصنيع الحكومي محرك أساسي لهذا النمو، حيث نمت الصناعة العامة الشاحنات بنسبة 4،4% على سبيل المثال.

الروس يعالجون الغرب «بالصدمة»

أتاحت العقوبات الغربية وانخفاض أسعار النفط، فرصة للاقتصاد الروسي، ليجري «علاج بالصدمة» وتصحيح سريع لآثار المرحلة النيوليبرالية، عندما تم تطبيق سياسات التصحيح الهيكلي على روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، والتي سميت: «العلاج بالصدمة» عبر الخصخصة الواسعة، وتحرير الأسعار كلياً.
أتاحت العقوبات فك نسبي للارتباط العميق بين الاقتصاد الروسي والغرب، وتسريع فتح المجالات الواسعة، مع دول آسيا وبقية دول العالم، فذهبت روسيا لتمنع الاستيراد من الدول التي طبقت عليها العقوبات، وقررت تعويض النقص من دعم الإنتاج المحلي، وتحديداً في الزراعة، ووضعت الأموال المنقولة للشركات الأمريكية والأوروبية في روسيا تحت التهديد، منذ أن أتاحت مصادرة هذه الأموال.
أما الأهم فهو استعادة التحكم بالعملية الاقتصادية، حيث قررت السياسة الروسية، ألا تترك السوق الروسية، لتتفاعل بمفردها مع الأزمة. فتمّ التوقف عن السياسات التقليدية المتبعة في مواجهة انخفاض سعر العملة، والقائمة على ضخ الاحتياطي للسوق، ورفع أسعار الفائدة. واستعاضت عن هذا وذاك، بجملة من الإجراءات الاقتصادية التي تحفز النمو، وفي القطاعات الحقيقية.
فتم تخصيص مبالغ قدرت بـ 35 مليار دولار لتنفقها الحكومة في الاقتصاد المحلي، بين دعم الزراعة، والإنفاق على الصناعة.
وتم التعامل بمرونة مع تراجع الموارد، حيث تم تخفيض النفقات، ولكن مع زيادة الإنفاق الاجتماعي، وزيادة الدعم الإنتاجي، وكانت النتيجة أن عادت معدلات ارتفاع أسعار الغذاء لمستوياتها السابقة أي إلى نسبة تضخم سنوية 5%، بعد أن وصلت إلى 25% في عام 2015، وزاد النمو الزراعي والصناعي، وزادت صادرات الحبوب الروسية، واستعاد الروبل 17% من قيمته بظرف 6 أشهر في العام الحالي.

%20

استعاد الروبل 17% من قيمته منذ بداية العام الحالي، وذلك بعد أن خسر منذ منتصف 2014 وحتى نهاية 2015 مقدار 37% من قيمته.. لتكون مجمل خسارة الروبل بعد عامين من العقوبات وانخفاض أسعار النفط مقدار 20%.

35

مليار $

وضع منذ بداية العام 2015 خطة لمواجهة الأزمة الاقتصادية في روسيا، بمقدار 35 مليار دولار ستستثمرها الحكومة في الاقتصاد المحلي، منها 11 مليار دولار دعم زراعي خلال 5 سنوات.

%5

قامت روسيا بتخفيض نفقات الميزانية بنسبة 10% في عام 2015، وهي عملية مؤقتة، حيث سيتم تخفيض نفقاتها بنسبة 5% فقط بين 2016– 2018، وينبغي الإشارة إلى أن الإنفاق الحقيقي على النفقات الاجتماعية قد ازداد بنسبة 16% في عام 2015، و 6% في عام 2016.

%4،4

ازداد معدل نمو الصناعة الحكومية، في قطاع الشاحنات بنسبة 4،4% في عام 2016، أما مؤشر الإنتاج الصناعي، فقد ارتفع بنسبة 1،7% بين شهري 6–2016، و 6–2015.

التنين ينفث «علماً»!

أنفقت الصين خلال العام الماضي، 200 مليار دولار على البحث العلمي، لترفع نسبة إنفاقها عليه إلى أكثر من 2% من ناتجها الإجمالي السنوي حيث كان بحدود 1,93% من الناتج حتى عام 2012، وبذلك تقف الصين في المرتبة الثانية عالمياً، بعد الولايات المتحدة، من حيث حجم الإنفاق السنوي على البحث العلمي.. وإن كان القياس الكمي للإنفاق على البحث العلمي، ونسبة ذلك الإنفاق من الناتج القومي السنوي لدولة من الدول، يعطي إشارات مهمة عن الدولة المعنية وموقعها العالمي، إلّا أن هذين المؤشرين ليسا كافيين وحدهما لتقديم التعبير الأوفى عن المسألة..

توجد مؤشرات كمية أخرى، لها أهمية حاسمة: عدد الطلاب الصينيين الذين يتخرجون سنوياً من كليات العلوم والهندسة والرياضيات والتقنيات يبلغ حوالي 2،5 مليون خريجاً، أما عدد الذين ينالون درجة الدكتوراه في حقلي الهندسة والرياضيات، فيصل إلى 30 ألف سنوياً..
ركزت الخطة الخمسية الثالثة عشرة على «الابتكار المستند إلى العلم» وتحديداً في مجالات «أبحاث الدماغ، والعلوم الجينية، والروبوتات الطبية، والـ Big Data».
ورغم أهمية المؤشرات السابقة بمجملها، خاصة إذا ما أضيف إليها أن الصين تقود حالياً خمسة من أكبر المشروعات العلمية في العالم، بينها «أكبر مستقبل راديوي في العالم»، إلّا أنّ المسألة الأكثر أهمية هي إصرار الصين على استعادة عقولها المهاجرة نحو الغرب، وقد استطاعت استعادة 4000 منهم عبر برامج تحفيزية خلال السنوات القليلة الماضية، ويبدو أنها ماضية قدماً في هذا المسعى..
إنّ سعي الصين بهذا الاتجاه يأتي ضمن استراتيجيتها العامة في التخلص من عمليات «الاستعمار الحديث» والتبادل اللامتكافئ مع الغرب، والذي تبرز هجرة العقول كواحد من أهم آلياته. يمكن تتبع ذلك في خطط الصين حول «إحلال الواردات» وكذلك في طردها التدريجي ولكن السريع للدولار، وفي عملها المشترك مع دول بريكس ومجموعة شنغهاي على إنشاء منظومة مالية ونقدية عالمية بديلة عن تلك التي يتحكم بها صندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومن ورائهم واشنطن والطغم المالية الغربية والعالمية الكبرى..
يضاف إلى ذلك اشتغالها على تخفيض قيمة عملتها لرفع تنافسية بضاعتها التصديرية، وذلك في الوقت الذي تعاني فيه البضائع الأمريكية والبريطانية أزمة ارتفاع قيمة الدولار والجنيه..
الصين التي لا زالت تصنف خارج دول المركز الرأسمالي العالمي، تكسر آليات الاستعمار الحديث المستمرة منذ الستينيات، فهي تخلصت من التبعية التكنولوجية، وتحرر دول الأطراف، والجنوب منها نسبياً، كما أنها تحفّز تجارة جنوب–جنوب، مساهمة في كسر التبادل اللامتكافئ القائم على بيع الدول النامية لأسعار سلعها الأولية بمستويات منخفضة، وشرائها للسلع عالية التكنولوجية من الدول المتقدمة بأسعار احتكارية عالية.
والأهم أنها تقدم نموذجاً، في عملية استعادة العقول المهاجرة إلى الغرب، وهي واحدة من أهم أدوات النهب العالمي، حيث يتم تنشئة الكوادر وتعليمها في الدول النامية، وتنتقل ليتم استغلال معارفها وتشغيلها في الدول المتقدمة بتكاليف منخفضة.

«مقص الأسعار» .. يُصاب بالصدأ!

انخفضت أسعار السلع الخام الزراعية عالمياً بين منتصف 2014، ومنتصف 2016 بمعدل 20% تقريباً، وفق مؤشر الأسعار العالمية الصادر عن صندوق النقد الدولي. بينما انخفضت أس «مقص الأسعار» .. يُصاب بالصدأ!
عار المعادن غير الثمينة عالمياً، بنسبة 30% خلال الفترة ذاتها، أما أسعار النفط العالمية فقد انخفضت خلال هذه الفترة بنسبة 60%.
يعتبر انخفاض الأسعار واحداً من أهم مؤشرات الدخول في مرحلة الانكماش الاقتصادي، وتنخفض بالدرجة الأولى السلع الأولية وغير المصنعة، والتي يكون مستوى الاحتكار العالمي فيها أقل، مع إمكانية للتحكم باتجاهاتها عبر البورصات العالمية.
خلال المراحل والأزمات السابقة، فإن عملية تخفيض أسعار السلع الأساسية، كانت تؤدي إلى تراجع في موارد الدول المصدرة، وتزيد بالمقابل من واردات الدول المستخدمة للخام في التصنيع، لتحقق خسائر للأولى وأرباحاً للثانية، حيث أن تخفيض أسعار السلع الخام، مقابل احتكار ورفع قياسي لأسعار السلع المصنعة، كان واحداً من الآليات التي ساهمت عموماً، في نقل القيمة المضافة، أو القيمة المنتجة مجدداً من دول الأطراف إلى دول المركز.
إلا أن هذه الآلية التي تسمى بمقص الأسعار، لم تعد فعالة بالمقدار ذاته اليوم، وفي ظل الأزمة الشاملة، حيث أن انخفاض أسعار السلع الأولية، لا يحقق عوائد مباشرة للدول المتقدمة، نظراً للتراجع الإجمالي في التجارة العالمية، وحدود الطلب العالمي المتراجعة، والتي تخفض من الصادرات الصناعية لهذه الدول.
فعلى سبيل المثال انخفضت واردات الصين من أوروبا والولايات المتحدة بنسبة 15%، و 8% خلال العام الماضي فقط، أما مجمل واردات آسيا وهي أكبر مستوردي السلع المصنعة فقد انخفضت بنسبة 8% خلال 2015.
وبشكل عام فإن اختراق العديد من دول الأطراف الصاعدة، للاحتكار التكنولوجي الذي كانت تطبقه الدول المتقدمة، وللاحتكار التمويلي، يتيح فرصاً واسعة أمام دول الجنوب، والشرق العالمي، لتتبلور البدائل مع احتدام الأزمات..

تقوم السياسة المالية السورية اليوم على فكرة أحادية هي «إدارة العجز»، أي محاولة تخفيض الفارق بين النفقات العامة، والإيرادات العامة، قدر الإمكان في ظل الظروف الاقتصادية ضمن الأزمة التي تحتم زيادة النفقات، وتراجع الموارد الحكومية، فتضطر الحكومة إلى تمويل نفقاتها بالعجز أو بالاقتراض الداخلي عبر المصرف المركزي..

الدَين الداخلي..
«إذا عرف السبب بطل العجب»

مشكلة العجز في سورية سابقة للأزمة، والرجوع إلى جوهر هذه المشكلة، يوضح أن طريقة الحل، عبر تقليص الإنفاق لا يمكن أن تشكل طريقة فعالة، ولا بد من طرق أخرى..

■ عشتار محمود

بدأ العجز في الموازنات السورية بالتوسع القياسي منذ عام 2003، حيث توسع في هذا العام بنسبة 55%، واستمر طوال السنوات التالية، حتى بلغ حجمه في موازنة 2010 مقدار 22% تقريباً من الموازنة العامة، وكان هذا العجز ينتقل من عام لعام، ليبلغ العجز المتراكم منذ عام 2003 وحتى عام 2010: 1067 مليار ليرة مسجلاً إقراضاً داخلياً متزايداً لدى البنك المركزي، وعلى الجهات العامة، أي نسبة 38% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2010، ونسبة 141% من موازنة ذلك العام.

كان لهذه السياسة التي تقذف العجز من عام لآخر، دون إيجاد الحلول الجدية له الدور الأكبر في ارتفاع معدلات التضخم في سورية قبل الأزمة، حيث بلغ معدل التضخم المتراكم بين عامي 2003 و 2009 نسبة 109%، أي بمعدل تضخم سنوي وسطي: 15،6%، وفق حسابات الاقتصاديين السوريين لمعدل التضخم الحقيقي، المعدل عن التضخم الرسمي.

من أين أتى هذا العجز؟

تزايدت النفقات العامة خلال الفترة بين 2003–2007 بنسبة 62%، بينما تزايدت الإيرادات بنسبة 55% فقط. إلا أن المشكلة لا تكمن بطبيعة الحال في زيادة النفقات، بل تكمن بالدرجة الأولى بضعف عملية إعادة توزيع الدخل عبر الموازنة.. فالموازنة الحكومية يجب أن تلعب دوراً رئيسياً في تحصيل جزء من الدخل المنتج من النشاط الاقتصادي، وتعيد توزيعه على القطاعات الاقتصادية والشرائح الاجتماعية، إلا أنها لم تكن تلعب هذا الدور..

فالناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة بين 2003– 2010 ارتفع بنسبة 120%، بينما الحصة المتحولة منه إلى المال العام، لم ترتفع إلا بنسبة 55%، وكان جزء هام من هذه الحصة ينشأ عبر الدين، أي بالتمويل بالعجز، وهو ضريبة يدفعها الفقراء للأغنياء، لأنه منتج رئيسي للتضخم..

أي أن الزيادة التي كانت تتحقق في الناتج لم تكن تترافق، بزيادة متناسبة في الإنفاق العام، وفي التحصيل العام، وذلك لأسباب عدة:

أهمها أن حصة الدولة من المساهمة في الناتج كانت في انخفاض، وهو ما ينعكس في مساهمتها بتكوين رأس المال التي انتقلت من 53% من رأس المال المستثمر في سورية عام 2003، إلى 43% في عام 2010، بتراجع بنسبة 10%.

أي أن حصة الدولة من إيرادات مشاريعها العامة، ومن عمليات استثمارها كانت في تراجع، وهذه نتيجة منطقية، للتراجع المستمر في دور الدولة الاقتصادي في تلك المرحلة، المتجلي بوضوح بتراجع حصتها من التراكم الاستثماري.

بالمقابل كانت القطاعات المتوسعة، بالدرجة الأولى هي قطاعات التجارة، والمال والخدمات والعقارات، حيث ازداد ناتجها المحلي خلال هذه الفترة بنسبة: 300% بين 2003–2010، أي بمعدل نمو سنوي: 42%!

وهذه الزيادة الاستثنائية في هذه القطاعات، لم ترفق بزيادة حصة الإيرادات العامة من الضرائب والرسوم، فإذا أخذنا الرسوم الجمركية فقط، فإنها لم تتوسع إلا بنسبة وسطية سنوية: 11%، أما ضرائب دخل المهن والحرف، والتي تعتبر ضريبة الأرباح جزءاً منها، فإنها لم تتوسع سنوياً إلا بنسبة 9،2%، وهي التي تساهم بضرائب أرباح المنشآت العامة، وضرائب النفط بالنسبة الأعظم منها.

فعدى عن التهرب الضريبي، فإن السياسة المالية في تلك المرحلة، كانت تسعى نحو تخفيض أعباء الضريبة والرسوم عن القطاعات المالية والخدمية المتوسعة، فعلى سبيل المثال، ترافق السماح للمصارف الخاصة بالعمل في سورية بتخفيض استثنائي في ضرائب الأرباح للشركات المساهمة، وترافق تدفق الاستثمار الاجنبي الخارجي للعمل في المصارف والسياحة والعقارات بإعفاءات استثنائية وفق قوانين الاستثمار.

ومن هذين الموضعين تأتي الإيرادات المالية العامة بشكل أساسي، أي من الإيرادات الحكومية الناتجة عن منشآتها واستثمارها، ومن الإيرادات الضريبية الناجمة عن الدخل الناتج في الاقتصاد المحلي، وعن الرسوم مقابل الخدمات الحكومية.

أدت عملياً السياسات الليبرالية والتوسع في القطاعات الخدمية والمالية والتراجع في قطاعات الإنتاج الحقيقي، وفي دور الدولة، مع التشوه الكبير في المنظومة الضريبية، القائمة على التهرب والإعفاءات، إلى تراجع كبير في الإيرادات العامة، وإلى توسع كبير في حصة القطاعات الخدمية والمالية من الناتج، دون أن يعاد توزيع هذا الناتج عبر الموازنة الحكومية، على القطاعات كافة، والشرائح الاجتماعية، ونتج عن هذا تراكم عجز، أي ديون داخلية بما يزيد عن 1000 مليار ليرة خلال 7 سنوات..

3130

3130 مليار ليرة خلال سنوات الازمة بين 2011- 2016، هو مقدار الدين الداخلي المتراكم عن العجز، وفق أرقام العجز الواردة في الموازنات الحكومية.

1067

1067 مليار ليرة، مقدار الدين الداخلي المتراكم خلال 7 سنوات من الليبرالية الاقتصادية بين 2003-2010، وفق بيانات المكتب المركزي للإحصاء.

160%

نسبة العجز المتراكم خلال سنوات الأزمة من الموازنة الحكومية لعام 2016 تبلغ 160%، بينما نسبته من الناتج الإجمالي لعام 2015 تبلغ 38%، وذلك وفق تقدير الإسكوا للناتج في عام 2015 بمقدار 27 مليار دولار، وبسعر صرف 300 نهاية عام 2015.

مواجهة العجز.. بمفاقمته!

تساهم السياسة الليبرالية اليوم في مفاقمة العجز الحكومي، وهي التي تعلن وتكرر بأن هدفها الأساسي في سياساتها المالية هو تخفيض العجز!

فمن حيث الجوهر، تتراجع الإيرادات العامة، لأن الدخل الذي تحصل الأرباح على الجزء الأعظم منه، لا يصل منه إيرادات إلى المال العام. حيث ينحصر توسع النشاط الاقتصادي، في قطاعات خدمية محددة، تعرف طريقها إلى التهرب الضريبي، وتعرف الحكومة ومفاتيحها ونواياها..

ويضاف إلى هذا تضاؤل كبير في الإيرادات العامة من المنشآت العامة، وهذا نتيجة طبيعية، لعدم قيام الحكومة بالإنفاق الاستثماري على هذه المنشآت، ما يعني عدم قدرتها على إيقاف التدهور الاقتصادي، أو حتى إبطائه..

وبالمقابل فإن السياسة المالية بشقها الآخر، القائم على ضرورة تحديد توجهات استخدام المصارف العاملة في الاقتصاد السوري، للودائع المتراكمة فيها، قد وضّحت موقفها بإيقاف عمليات الإقراض بشكل كامل، فأصبحت الودائع التي عادت للتراكم في المصارف، لا تستخدم في تنشيط العمليات الإنتاجية، بينما تم السماح للمصارف بالعمل المضاربي، وذلك عندما اقتصر نشاطها الحالي على تشكيل محفظة قطع أجنبي للضمان، وأتيح تحريكها، بيعاً وشراء خلال فترة قصيرة، ما جعلها عرضة للاستخدام في المضاربات على قيمة الليرة في السوق، هذه المضاربات التي تدر أرباحاً، لا تفرض عليها الحكومة ضريبة.

عملياً لا يمكن معالجة العجز في سورية، إلا بمعالجة المشكلة من جوهرها، أي بمواجهة تراجع الإيرادات العامة، نتيجة تراجع الدور الاقتصادي للحكومة عبر مساهمتها المباشرة في الصناعة والزراعة والتجارة الخارجية، هذا أولاً. أما ثانياً: فعبر زيادة الإيرادات العامة من الأرباح المتحققة في القطاعات التي تشهد توسعاً ونمواً حالياً، وإيقاف عملية ترك القطاعات التجارية والخدمية للتوسع دون أدنى جباية والتي كانت مستمرة طيلة مرحلة العقد الماضي ولا تزال حتى اليوم..

إن الموازنة العامة، هي من أهم أدوات إعادة توزيع الدخل في الاقتصاد الوطني، وعندما تتقلص هذه الموازنة، وتقلص من نفقاتها وإيراداتها، فإنها عملياً تساهم بشكل مباشر في زيادة تشوه توزيع الدخل بين الأرباح والأجور، فتترك مجمل الربح للقطاعات الرابحة، دون حصة للمال العام، وتحمّل الأجور عبر الضرائب والرسوم، العبء الأكبر، أي أنها تساهم في إعادة التوزيع من الأجور إلى الأرباح وليس العكس، ولا ينجم عن هذه السياسة سوى تراجع في دور الدولة، وزيادة في العجز، وزيادة في التضخم وارتفاع الأسعار، وزيادة في الربح!

دمشق القديمة تعاني

بيوت وحارات دمشق القديمة وباب شرقي وباب توما طغت عليها الاستثمارات من كل حدب وصوب خلال الأعوام الماضية، حيث باتت المطاعم تغلب على طابعها العام السكني، بالإضافة إلى الفنادق وغيرها من مشاريع الاستثمار الأخرى، وفي بحث المستثمرين عن مردود أعلى لاستثماراتهم بدأت تطغى على تلك البيوت والحارات النوادي الليلية والبارات كبديل عن المطاعم التي لم تعد تكفي طمع المستثمرين وجشعهم.

■ مراسل قاسيون

أهالي الحي لم يعبروا سابقاً عن استيائهم من المطاعم التي انتشرت بالمنطقة مثل النار بالهشيم، ولكنهم بدأوا بالتعبير عن هذا الاستياء مع تحول بعض هذه المطاعم والبيوت إلى أماكن للعربدة وافتعال المشاكل مؤخراً، كما يخشى بعضهم من انتشار آفات ومظاهر اجتماعية سلبية أخرى مثل تعاطي الحشيش والمخدرات وغيرها من المظاهر والظواهر الاجتماعية المسيئة والسلبية، حسب رواية بعض أبناء الحي، والتي تهدد جمالية النسيج المجتمعي لدمشق القديمة بعراقته وأصالته.

معاناة الأهالي تزداد مع اقتراب ساعات المساء والليل، حيث الأصوات المرتفعة التي تصدح بها هذه الأماكن باتت مصدراً للإزعاج المستمر حتى طلوع الصباح، ولعل ضيق الحارات في تلك المنطقة سبباً إضافياً للاستياء، حيث يمكن للهمسة بالشارع أن تسمع داخل المنازل، فكيف الحال بالصخب والأصوات المرتفعة.

الأهالي كانوا مع افتتاح بعض المحال في حاراتهم، بما يمنحها المزيد من الجمالية عبر بث بعض من روح الحياة العصرية فيها، خاصة وأنها كانت تلتزم بساعات عمل محددة، كما كانت تلتزم بغالبيتها بالأغاني التراثية والتقليدية من قدود ودمشقيات وغيرها من أنواع الغناء والموسيقى مما يطلق عليه اغاني السلطنة والطرب، ولكن مع واقع الانفلات التي أصبحت عليه بعض المحال مؤخراً، أصبح الواقع المعاشي اليومي لسكان دمشق القديمة أشبه بالمأساة، حيث لا نهارهم نهار ولا ليلهم ليل، كما ما زالت موجة الانتشار والتوسع في افتتاح المزيد من تلك المحال تفعل فعلها في المنطقة، على حساب الحارات والأهالي والتراث، وموضوعة الحفاظ على دمشق القديمة أصلاً.

فأين رعاة دمشق القديمة، وأين محافظة المدينة، وأين وزارة السياحة وأين مخافر الشرطة والبلديات من كل ما يجري في حارات دمشق القديمة وما آلت إليه على أيدي المنتفعين والسماسرة والمستفيدين والمستثمرين، والقائمة تطول وتطول! .

معاناة أهالي «وادي النضارى» وأحراشه

سكان وأهالي منطقة قرى وبلدات وادي النضارى يعانون من استمرار انقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة ومتواصلة، وهم على ذلك مثل غيرهم من السوريين الذين يعانون من مزاجية التيار الكهربائي، حيث تتلف المواد الغذائية المخزنة بالبرادات، كما يتم فقدان المياه التي يرتبط توافرها بساعات الوصل الكهربائي.

■ قاسيون

شراء المياه بات مكلفاً بالنسبة للأهالي حسب إمكاناتهم وقدراتهم الشرائية، حيث يصل سعر برميل المياه إلى 400 ليرة، وهي مياه غير صالحة للشرب، وإنما يتم استعمالها للغسيل والتغسيل والأمور الحياتية الأخرى، وتتفاوت معدلات الاستهلاك للمياه حسب حجم الأسرة واحتياجاتها اليومية، ولكن بالمحصلة فقد بات الإنفاق على المياه عبئاً مالياً إضافياً كبيراً يتكبده الأهالي، فوق تكبدهم لمشاق تكاليف الحياة المعيشية التي باتت تثقل كاهل المواطنين جميعهم، بظل ارتفاع الأسعار وانفلاتها، وغياب الرقابة، بموازاة تدني مستويات الأجور والدخول الشهرية، والقيمة الشرائية لليرة.

واقع النقص بالمحروقات أمر مفروغ منه، واللافت توفر هذه المادة بالسوق السوداء، حيث ينشط تجار هذه السوق وخاصة خلال موسم الصيف، وقد وصل سعر تنكة البنزين إلى 6000 ليرة بالمنطقة، استغلالاً لحاجات الناس، بظل انقطاع المادة من الكازيات، وذلك كله يجري على مرأى ومسمع ومشاهدة أصحاب السعادة والسمو من المتنفذين وأصحاب القرار في المنطقة.

المشكلة الأكبر التي تواجه الأهالي والتي يتخوفون من نتائجها بالمستقبل بحال عدم معالجتها، هي واقع قطع الأشجار في الأحراش والأحراج التي يشتهر بها الوادي، فعند كل صباح لا بد من أن يشهدوا قطعاً جديداً لبعض الأشجار في هذه المنطقة، وكأن القائمين على الأمر والمستفيدين منه قد عقدوا العزم على ألا يتركوا بقعة خضراء بحال أتيحت الفرصة أمامهم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض هؤلاء معروفون من قبل بعض الأهالي كما من قبل بعض المتنفذين في المنطقة، ويتم التغطية على عملهم، حسب أقوال الأهالي.

هذا الواقع من المعاناة اعتباراً من نقص الخدمات مروراً بالأسعار المرتفعة إلى السوق السوداء وانتهاءً بقطع الأشجار، هو واقع مستمر ومستشري منذ سنين، وقد ازدادت فاعليته خلال سني الحرب والأزمة، ولكن الملفت بالأمر على مستوى الوادي، هو الوقاحة التي وصل بها الأمر لدى بعضهم، حيث أصبحت تلك المخالفات جميعها واللامبالاة والاهمال والسرقة والفساد «على عينك يا تاجر»، وعلى مرأى ومشاهدة الكثيرين من أصحاب القرار والنفوذ في المنطقة، دون اتخاذ أية إجراءات رادعة، وكأن الأمر لا يعنيهم، كما لا تعنيهم معاناة الأهالي ومستقبلهم.

تجاوز القانون وضحية جديدة

■ قاسيون

ضحية جديدة ناجمة عن الاستهتار بأرواح المواطنين حدثت بمدينة اللاذقية بجانب مديرية التربية بتاريخ 2016/7/22 ظهراً، وقد كان المتوفي فيها شاباً بمقتبل العمر بعد أن دهسته سيارة مسرعة، لاذ سائقها بالفرار دون أن يتوقف.

وقد تداولت بعص صفحات التواصل الاجتماعي عن شهود عيان أن السيارة كانت من نوع «مرسيدس» وهي «مفيمة»، حيث لم يتمكن أحد من رؤية السائق، كما لم يتطرق أحد إلى رقم لوحة السيارة، وفيما اذا كانت السيارة بلوحة أصلاً أو بدون تلك اللوحة.

يشار إلى أن هذه الحادثة ليست الأولى من نوعها التي تتم بهذا الشكل ويكون ضحيتها أحد المواطنين الآمنين في شوارع البلد، وخاصة في مدينة اللاذقية، مع العلم أنه سبق وأن صدر قرار يقضي بمنع استخدام الزجاج المفيم، وفرض إزالته، بالإضافة إلى ما ينص عليه القانون من حيث الالتزام بالسرعة ووضع اللوحات، وغيرها من التعليمات والقوانين التي غايتها وضع الضوابط والقيود والحد من الأخطار والحفاظ على سلامة المواطنين، ولكن هيهات أن يلتزم بها هؤلاء المنفلتين، الذين تزايد خطرهم واستفحل استهتارهم بعموم المواطنين، بل زاد هذا الاستهتار والتعالي حتى باتوا يمارسون غوايتهم التشبيحية بالسرعات الزائدة في ساعات الذروة وفي الأماكن المكتظة بالمواطنين، غير عابئين بحياة الناس وأمنهم وسلامتهم.

أحد المواطنين قال معقباً على الحادثة عبر إحدى صفحات الفيسبوك: «سقطت هيبة الدولة وبرزت هيبة ولاد الشوارع والشبيحة»،

جل هؤلاء من المنفلتين هم من جيل الشباب المحسوبين على بعض المتنفذين وأصحاب المحسوبيات من ذوي السلطة أو ربما من أبنائهم وذويهم المقربين، كما أن جل ضحاياهم من المواطنين الفقراء والمعترين الذين لاحول لهم ولا قوة، في زمن بات يغلب عليه هذا الطابع من التشبيح الخارج عن الإنسانية والقانون، ليتمظهر هؤلاء على أنهم فوق القانون، كما أن الإنسانية لا تعنيهم.

أهالي اللاذقية كغيرهم من السوريين، يعانون ما يعانوه من ويلات الحرب والأزمة، والفساد وتجار الأزمة وتسلط بعض المتنفذين، ولكنهم بالمقابل يتحملون ما لا يمكن تحمله من تبعات عبث هؤلاء المنفلتين المحسوبين على هذا أو ذاك، والذين تكاثروا بشكل ملفت خلال فترة الحرب والأزمة، وزادت عنجهيتهم خاصة بعد انتشار السلاح بأيدي هؤلاء، حيث لا يتورع أحدهم عن استخدامه بكل بساطة دون اكتراث ودون أي اعتبار لحياة الناس.

ويتساءل أهالي مدينة اللاذقية كما نتساءل بدورنا معهم: إلى متى ستستمر التغطية على مساوئ هؤلاء المنفلتين والبعيدين عن أيدي الرقابة والقانون؟، ومتى ستتم محاسبتهم على نتائج أعمالهم؟.

اليمن رهن التغيرات الإقليمية.. و«طاولة الكويت»

بعد وصول ملف المفاوضات اليمنية- اليمنية إلى خواتيمها، من حيث وضع الخطوط العامة وحتى التفصيلية في قضايا شائكة عدة عبر تنازلات متبادلة، بقيت مسألة توزيع الصلاحيات ما بين «الرئيس- الحكومة» هي العائق الذي قد يكون الوحيد والأكبر، والذي من أجله تم الدفع بكل القضايا الأخرى للنقاش قبل الوصول إليه، لأنه عملياً لا يقبل القسمة تماماً بين أطراف النزاع.

■ وائل سعد

أعطت عودة العمليات العسكرية بمستويات عالية في الأسبوعين الماضيين، بما في ذلك على الحدود السعودية– اليمنية، إشارات كافية من الأطراف اليمنية عن التزامها بسقوفها العالية، طالما لم تحمل المبادرات الإقليمية والدولية جديداً في الشق السياسي لحل الأزمة اليمنية، فهل البعثة الدولية عاجزة فعلاً عن تقديم حل توافقي يرضي الأطراف جميعها ؟

حريق الإقليم ينعكس في اليمن

لم يوفر المبعوث الدولي، اسماعيل ولد الشيخ أحمد، وبعثته المدعومة دولياً، جهداً ممكناً في تيسير محادثات الجولة الأولى التي استمرت أكثر من شهرين، وأثمرت في العديد من الملفات الجزئية، لكن القضية الجوهرية المتعلقة بشكل السلطة السياسية القادمة، والتي ستحدد وجه اليمن وتأثيره على موازين القوى الإقليمية في المنطقة، لا يمكن حلها بأوراق العمل فحسب، بمعنى آخر، فإن الوضع الإقليمي المشتعل يدفع أطرافاً دولية وإقليمية لانتظار لحظة تقدم ما على مستوى النفوذ الإقليمي للدفع بالحل السياسي في اليمن بما يخدم مصالحها، لذا، نرى مجموعة سفراء الدول العشر الراعية للتسوية السياسية في اليمن «ممثلة بالدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ودول مجلس التعاون الخليجي» تحاول تثبيت المفاوضات عند نقطة «ما قبل الحسم السياسي» بخطوة، بانتظار الظروف المواتية لدفع الملف إلى نهايته، لذا فإن هذه الأطراف لم تحسم خيارها فعلاً في الضغط على الأطراف اليمنية لإنهاء معاناة بلادهم.

سياسياً، تناقلت وسائل الإعلام ورقة سعودية «مسربة»، تقول مصادر قريبة من «أنصار الله» أنها تحمل «نوايا مقلقة»، بتركيزها على تسليم السلاح والانسحاب من المدن، وهو ما سمعه هذا الطرف السياسي طوال شهرين على طاولة المفاوضات في الكويت، أي أن «الورقة المسربة»، لم تأتِ بالجديد في الطريق لحل الأزمة.

وفي السياق ذاته، اتهم المتحدث باسم وفد «أنصار الله»، محمد عبد السلام، المبعوث الدولي إلى اليمن بتبنيه رؤية وفد «الحكومة الشرعية»، بطرحه لأولوية الملفين العسكري والأمني. وعليه، يمكن القول إن كسر الحلقة المفرغة من نقطة «صلاحيات رئيس– حكومة»، مؤجل مبدئياً، رغم انطلاق الجولة الثانية من مفاوضات الكويت، والمحدد وقتها بأسبوعين.

المهلة الكويتية لليمنيين

أكد نائب وزير الخارجية الكويتي، خالد الجارالله: إن الكويت أمهلت أطراف الحوار اليمني في الكويت 15 يوماً لحسم مشاورات السلام اليمنية التي تستضيفها برعاية الأمم المتحدة.

ونقلت وكالة الأنباء الكويتية، يوم الأربعاء 2016/7/20 عن الجارالله قوله: إن الكويت ستعتذر عن مواصلة مشاورات السلام اليمنية التي تستضيفها برعاية الأمم إذا لم تتمكن من إيجاد حل للأزمة اليمنية في الموعد المحدد للمشاورات.

تبعه ذلك يوم الخميس بيان رباعي صادر عن حكومات بريطانيا، الولايات المتحدة، الإمارات، والسعودية، حيث شدد البيان على أنه «آن الأوان للتوصل لاتفاق في الكويت»، وبحثت هذه الدول تسلسل اتفاق محتمل، مؤكدين أن الحل الناجح يشمل ترتيبات تتطلب: انسحاب الجماعات المسلحة من العاصمة ومناطق أخرى، واتفاق سياسي يتيح استئناف عملية انتقال سياسي سلمية وتشمل الجميع.

ويبدو أن التحركات الأخيرة، لا تتعدى ما انتهت إليه الجولة الأولى من المفاوضات بإجراءات تثبيت لما تم التوصل إليه حتى الآن، والذي كسبت منه السعودية «التقاط الأنفاس» على الحدود لمدة شهرين، لكن المماطلة في الضغط على وفد «الحكومة الشرعية»، أدى إلى محاولات ضغط معاكسة من جانب «أنصار الله» الذين استهدفوا مواقع عسكرية داخل الأراضي السعودية بثلاثة صواريخ باليستية، أدت إلى وقوع إصابات بشرية ومادية في صفوف القوات السعودية.

ولكن إذا ما أخذنا بالحسبان التحولات الجارية في المنطقة وتفاعلات ملفاتها، بما فيها التجاذب والتنافر بين واشنطن وكل من الرياض وأنقرة، فإن السعودية، وغيرها من اللاعبين الإقليميين، سيجدون أن مصلحتهم التوقف عن عرقلة الحل اليمني، الذي وصلت صياغة تفاصيله إلى مرحلة متقدمة، ودائماً على قاعدة أن ما قد يحصلون عليه اليوم قد لا يحصلون عليه غداً.

الصين تفتح باب السلم.. لكنها تمسك العصا..!

يجري اتهام الصين من وسائل الإعلام الغربية- شبكة «CNN» الأمريكية نموذجاً- بأنها تسعى للسيطرة على بحر الصين الجنوبي، لما فيه من ثروات باطنية، أو كما عنونت الشبكة ذاتها على موقعها الإلكتروني يوم 2016/7/12، إن «بكين ترد بغضب على قرار محكمة التحكيم حول حقوقها في بحر الصين الجنوبي؟»

■ عماد بيضون

هل بالفعل الصين غاضبة لأن قرار محكمة لاهاي جاء لمصلحة الفليبين حول الحقوق في البحر؟ فقد كانت المحكمة أيدت دعوى رفعتها الفلبين، وقالت المحكمة الدائمة للتحكيم: إنه «لا يوجد أدلة» على أن الصين مارست عبر التاريخ أية سيطرة حصرية على المياه أو الموارد في المنطقة. في الواقع، إن ما أغضب الصين ليس هو قرار قضائي صادر عن محكمة مهيمن على قرارها أمريكياً، بل إن الرسالة السياسية الكامنة وراء هذا القرار، والتي تؤكد أن هناك عزماً أمريكياً على التدخل في الشؤون الإقليمية على مستوى جنوب شرق آسيا، هي من كانت المحرك لردود فعل الصين إزاء القرار.

الصين الوحيدة قادرة على حماية البحر وتجارته ودوله!

لا تمانع الصين عملياً، بحسب تصريحات مسؤوليها المتكررة، في إجراء مفاوضات حول الحقوق في الجزر. وقد كررت الحكومة الصينية موقفها القائل إن للبلاد سيادة إقليمية وحقوقاً بحرية في المنطقة، وإن الشعب الصيني يمارس نفوذه فيها منذ أكثر من ألفي سنة.

وتمضي الحكومة للحديث عن «التشاور مع الدول المعنية مباشرة»، وتقترح «التعاون في تنمية وتطوير المناطق البحرية المعنية». كما كانت ردود شركات الطيران وشركات النقل البحري مهللة لسماع تأكيد الصين بأنها تحترم «حرية الملاحة والنقل الجوي التي تتمتع بهما الدول في بحر الصين الجنوبي كافة بموجب القانون الدولي»، وأنها على استعداد لضمان «الاستخدام غير المقيد للممرات المائية الدولية».

لكن، في حال تنازلت الصين عن وجودها العسكري والسياسي في الجزر، الطبيعية منها أو الصناعية، فمن يستطيع من دول المنطقة حماية مضيق مائي يمر منه 5 تريليونات دولار بضائع من نفوذ الولايات المتحدة التي تريد إضعاف الصين ومحاصرتها، أو ابتزازها على مواقف سياسية واقتصادية حول العالم؟

الصين تصعد نبرتها إزاء واشنطن

تعي الصين بشكل جيد، أن لا مشكلة لديها مع دول الجوار، حتى لو رفعوا ضدها دعاوى في المحاكم الدولية، فمثل هذه الخطوات لا تأتي بدفع داخلي من دول منطقة بحر الصين كفيتنام والفلبين وماليزيا وغيرها، بل عملياً تأتي بدفع من الخصم الأمريكي، ولذلك، قالت صحيفة «الشعب» الصينية إنه على الصين أن تستعد للمواجهة العسكرية مع النفوذ الأمريكي، وفي الوقت ذاته، أجرت مناورات عسكرية في بحر الصين الجنوبي.

ومع ارتفاع التوتر على حدود الصين الجنوبية ضمن هذا الاستقطاب العالي بين دول المنطقة لتشكيل تكتلات إقليمية ودولية، تسعى الصين لتثبت ميزان عسكري متوازن مع الخصم الأمريكي، مستفيدة من وزن منظمة «شنغهاي»، التي تجمعها مع روسيا ودول أخرى، للاستعداد لمعركة طرد واشنطن من حدودها الجنوبية الحيوية.

واشنطن OUT: الحل يطلّ من بوابة كاراباخ

أعلن إقليم ناغورني كاراباخ الجبلي في نهاية عام 1991 استقلاله عن أذربيجان، دون أن يحظى باعتراف أية دولة، ولا حتى الجارة أرمينيا. وخلال الفترة الممتدة من 1988 إلى 1994، شهد الإقليم حرباً بين أرمينيا وأذربيجان، أوقعت نحو 30 ألف قتيل، وأدت إلى نزوح مئات آلاف الأشخاص. توصل الطرفان إلى تهدئة دون توقيع اتفاقية سلام 1994 واستمرت المعارك المتقطعة بين فترة وأخرى.

■ آلان كرد

ضمن محاولات لتفجير صواعق الحريق الفاشي في القفقاس، حدثت اشتباكات جديدة في شهر نيسان الماضي، والتي تعدّ أكبر عمل عسكري في المنطقة منذ عام 1994. فالرؤوس الحامية، موجودة دائماً وفي الدول كلها، تنتهز الفرص ونقاط الضعف، لتظهر على السطح بأفكارها البالية، سواء كانت طائفية أو عرقية أو عنصرية في مجملها، والتي تخدم رأس المال المالي العالمي الإجرامي، أولاً وآخيراً.

الرد التاريخي على هذه الاستراتيجية الأمريكية يبقى مرهوناً بإنجاز عملية وحدة شعوب هذه المنطقة.. بما يضمن حل النزاعات المختلفة

الحل في إطار المنظمة الواحدة

خلافاً لسياسة صب الزيت على النار، لعبت روسيا دوراً رئيسياً لحل الأزمة في كاراباخ بالوسائل السلمية المتاحة في هذا الإقليم، مستفيدةً من امتلاكها علاقات سياسية ودبلوماسية جيدة مع كل من باكو– ويريفان– الحليفين الاقتصاديين.

وفي الخامس من شهر نيسان الماضي، جرى في فيينا اجتماع مجموعة «مينسك» حول ناغورني كاراباخ، المكلفة بإيجاد حل لهذا النزاع. وتترأس هذه اللجنة روسيا وفرنسا والولايات المتحدة منذ عام 1992، في ظل ترحيب الطرفين الأرميني والأذربيجاني لإيجاد حل سلمي لأزمة ناغورني كاراباخ.

اللافت للنظر أن موسكو تروج لفكرة حل الصراع في منظمة واحدة ومتكاملة ضمن الاتحاد الاقتصادي الأوراسي. وتظهر روسيا بالفعل كلاعب قوي من أجل الشروع في هذه العملية. وفي الواقع، فإن كلاً من أرمينيا وأذربيجان أعضاء في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، ويعملان على تطوير الأبعاد السياسية والاقتصادية لهذه المنظمة.

وقد انضمت أرمينيا إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي بهدف الحصول على دعم الكرملين حول قضية كاراباخ الجبلية، ولتعزيز العلاقة المحورية مع موسكو. أما أهمية أذربيجان بالنسبة لروسيا، فهي أيضاً واضحة جداً.

وحدة الشرق العظيم

يعتقد كثيرون في روسيا أن الاندماج في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي يحمل وعداً كبيراً لأذربيجان، بحجة أن الدولة الغنية بالطاقة يمكن أن تعمل أيضاً بمثابة جسر لتعاون الاتحاد الواسع مع إيران وتركيا. في حين تأمل أذربيجان في الحصول على دفعة جديدة لتسوية النزاع، فهي تنظر جيداً لإمكانية الانضمام إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، ولكن كما يبدو فما يزال لديها تحديات للحصول على عضوية الكتلة التي تقودها روسيا. وبدلاً من ذلك، يبدو أن باكو تركز على تعزيز التعاون على المستوى الثنائي داخل المنظمة الأوراسية.

ومع ذلك، قدّم الكرملين بعض التكتيكات الجديدة بناءً على اقتراح السلام الذي ألمح إليه وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، في كاراباخ، وهي تكتيكات مدروسة جيداً، تجمع ما بين الحفاظ على جمهورية كاراباخ قائمة، كجمهورية ربما يجري الاعتراف فيها لاحقاً، وبين حقوق كلّ من أرمينيا وأذربيجان في تلك المنطقة، مما قد يؤدي إلى تغيير شامل في خارطة الوضع المعقد هناك.

كما أن مثل هذه التسوية ستأخذ بعين الاعتبار النزاعات الإقليمية العميقة التي تحيط بالإقليم. وبذلك، يمكن لموسكو أن تظهر كيف تحول بسهولة العقبات إلى فرص للاستقرار الإقليمي وقطع عقدة أرمينيا وأذربيجان مرة واحدة وإلى الأبد.

إن حل أزمة إقليم ناغورني كاراباخ– العالقة منذ عقود– بالحل السياسي يعني أول ما يعنيه، إن انتصاراً جديداً ساحقاً لقوى السلم العالمي على قوى الحرب الفاشية الجديدة يلوح في الأفق، وأن هناك دفعاً لقاطرة التسويات السياسية كبديل عن «الحلول» العسكرية التي لا تخدم أحداً سوى الفاشية الجديدة، وتبريد قسري لتلك الرؤوس الحامية التي تريد إشعال حرب يمكن أن تمتد إلى جمهوريات منطقة القفقاس كاملة على حدود روسيا الجنوبية.

سيشكل الحل السياسي في ناغورني كاراباخ، انتصاراً على مخططات ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية المستمرة لإشعال الأزمات، وتصدير «الثورات الملونة» نحو مناطق البلقان وأوروبا الشرقية وشرق المتوسط، مما يدفع فعلياً إلى انسحابها التدريجي من هذه المناطق.

وإذا كان القطب الروسي الصيني الصاعد يتولى عملية بناء المتاريس في وجه التثمير التكتيكي والاستراتيجي الأمريكي لمحاولات التوتير في المنطقة الأوراسية عموماً، ويحافظ على سياسته في نزع صواعق التفجير وتجفيف بؤر التوتر التي يعمل «التيار الفاشي» في الإدارة الأمريكية على خلقها، ويحاول «التيار العقلاني» فيها الاستفادة إلى أقصى مدى ممكن منها، فإن الرد التاريخي على هذه الاستراتيجية الأمريكية يبقى مرهوناً بإنجاز عملية وحدة شعوب هذه المنطقة، بما يضمن حل النزاعات المختلفة «الدينية، الطائفية، القومية، العشائرية» التي غذتها القوى الاستعمارية القديمة، واستكملت الإمبريالية الأمريكية تغذيتها منذ النصف الثاني من القرن العشرين.

الصورة عالمياً

• قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، إن ما يجري في المنطقة نتيجة مباشرة لـ«سياسة الغرب الغبية الذي تصرف وكأنه فيل في متجر للخزف، ساعياً إلى المحافظة على سيطرته».

• رفض حزبا «الشعوب الديمقراطي» و«الشعب الجمهوري» في تركيا اتجاه السلطات الحاكمة إلى فرض حالة الطوارئ في البلاد لمدة ثلاثة أشهر، وصوتا ضد القرار في البرلمان التركي.

• من المقرر أن تستضيف إحدى المدن الروسية في مطلع شهر آب القادم لقاءً سيجمع الرئيسين الروسي، فلاديمير بوتين، والتركي، رجب طيب أردوغان. ومن المتوقع أن يركز اللقاء على الأزمة السورية.

• صوت نواب البرلمان البريطاني خلال الأسبوع الماضي، على تحديث الدرع النووي للبلاد، والذي سوف يكلف الميزانية، وفقاً للبيانات الرسمية، عشرات المليارات من الجنيهات الاسترلينية.

• رشقت مجموعة من حشود المعارضين الكوريين الرافضين لنشر نظام دفاع صاروخي أمريكي متقدم، رئيس وزراء كوريا الجنوبية، هوانغ كيو أهن، بالبيض والزجاجات الفارغة.

• أعلن رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي، جيرار لارشيه، إن المجلس قد صوت، يوم الأربعاء الماضي، لمصلحة مشروع قانون عن تمديد حالة الطوارئ في البلاد لفترة نصف عام.

فرنسا تعترف: مدانون بالازدواجية..!

اكتفت الحكومة الفرنسية، التي تعاني أراضيها من عمليات إرهابية متعاظمة في الآونة الأخيرة، مطولاً بالقول إن قواتها العسكرية تقوم فقط بتحليقات بالطائرات فوق الأراضي الليبية، إلا أنها اضطرت خلال الأسبوع الماضي، إلى الإقرار بوجود مقاتلين لها على الأرض، يقومون بمهمات «استطلاعية».

■ سعد خطار

أعلنت وزارة الدفاع الفرنسية، خلال الأسبوع الماضي، مقتل ثلاثة عسكريين تابعين لها خلال مهمة استطلاع في ليبيا، إثر تعرض مروحيتهم لـ«حادث»، ليكونوا بذلك أول جنود فرنسيين يقتلون في ليبيا بشكل معلن، وليجري الإقرار للمرة الأولى بوجود جنود فرنسيين في البلاد.

رغم تضارب المصلحة الأمريكية الأوروبية بالعمق حيال الملف الليبي، إلا أن السلوك الأوروبي يبرهن على استمرار عقلية استعمارية سادت طوال العقود الماضية في تعاملها مع الليبيين

فرنسا تلعب على الحبلين..!

ما كان لافتاً في الإعلان الفرنسي هذا، هو ما تلاه مباشرة، حيث نقلت وسائل إعلام محلية عن اللواء خليفة حفتر، قوله: إن هذه القوات الفرنسية الموجودة على الأرض إنما حطّت في البلاد «للقتال مع جنودنا».

في المقابل، عبّر المجلس الرئاسي لحكومة «الوفاق» الليبية، برئاسة فايز السراج، عن استيائه من نشر قوات فرنسية في الشرق الليبي دون علمه، كما خرجت مظاهرات في طرابلس ومصراتة ومدن أخرى تندد بالتدخل الفرنسي.

أي أن فرنسا عملياً، تقوم بدعم الطرفين كليهما في الحرب الدائرة في البلاد، فهي سياسياً، ملتزمة بدعم حكومة «الوفاق» الليبية، أما عسكرياً، فتقوم بدعم الطرف النقيض. ما يعني، أن السياسة الفرنسية في ليبيا تقوم عملياً على فكرة إطالة أمد الحرب الدائرة فوق الأراضي الليبية، من خلال الازدواجية، ودعم طرفين متناقضين أصلاً في الداخل الليبي. لتكون بذلك هي المستفيدة الأولى من عملية تدمير وانهيار جهاز الدولة الليبية.

بعد خمس سنوات.. ما الذي جنته ليبيا؟

تعتبر العلاقة بين الدول المنهارة، والاقتصاد الأسود، واضحة المعالم، حيث التجارة غير الشرعية الدولية، والتي كانت في التسعينيات تشكل نسبة 30% من التجارة الدولية، تحولت لاحقاً إلى واحدة من مصادر تمويل الانهيارات المالية في الأزمة المالية العالمية في عام 2008، كما أشارت دراسات اقتصادية للأمم المتحدة. وبينما يزداد تأزم المنظومة الاقتصادية العالمية، يزداد وجهها الفاشي بروزاً ليظهر توظيف الانهيارات السياسية لدول كانت قائمة، محولاً إياها مسرحاً للفوضى، ومنطقة متوترة تمنع الاستقرار في مناطق بمجملها.

وتعتبر ليبيا النموذج الأبرز لذلك، حيث دخلها «الناتو» في آذار عام 2011، مؤدياً إلى انهيار دولتها عالية المركزية، وكانت مدة زمنية أقل من خمس سنوات كافية، ليتشكل فيها اليوم أكثر من 12 ميليشيا مسلحة تتقاسم إدارة مصادر الأموال الإجرامية ومناطق البلاد وبوابات الأعمال غير الشرعية في أفريقيا كلها.. وتؤدي الغرض السياسي الأهم بالإبقاء على «منصة انطلاق» محمية تتحرك منها الفاشية العالمية لتثير الفوضى من بلد لآخر..

رغم تضارب المصلحة الأمريكية الأوروبية بالعمق حيال الملف الليبي، وخصوصاً قضية تمدد الإرهاب بالقرب من سواحل أوروبا، وتزايد أعداد المهاجرين عبر المتوسط إليها، إلا أن السلوك الأوروبي حيال تطورات الوضع السياسي الراهن، تبرهن على استمرار عقلية استعمارية سادت طوال العقود الماضية في تعاملها مع الليبيين، غير أن نتيجة هذه العقلية في الظروف الراهنة تصب أولاً في خانة الأهداف الأمريكية المباشرة في ليبيا.

يبدو إصرار واشنطن على الاستثمار بالفوضى، وإصرارالغرب عموماً على إبعاد دول الجوار عن تيسير الحل الداخلي في ليبيا، مرحلة جديدة في الصراع على رسمة شمال أفريقيا، وربما خوف غربي من تمدد روسيا والصين نحو هذه المنطقة، بحكم علاقاتها الآخذة بالتطور في محيط ليبيا التي ينظر إليها الغرب كمحمية اقتصادية تاريخياً، إلا أن استمرار التدفق المتوقع لمقاتلي التنظيمات المتطرفة إلى ليبيا، سيضع الأوروبيين على المحك في الاختيار بين المصالح العميقة لشعوبهم، والاستمرار في التماهي مع السياسات الأمريكية من أجل مصالح اقتصادية ضيقة، وهو المرجح للظهور أكثر على السطح في المراحل اللاحقة من عمر الأزمة الليبية.

واشنطن إذ تضغط على حليفها.. من بوابة الكشوفات القديمة

رغم أنها بقيت قيد الكتمان حوالي 15 عاماً، إلا أن الإدارة الأمريكية المتعطشة إلى الضغط على حلفائها باتت مضطرة اليوم إلى «الكشف» عن الصفحات الـ28 التي حملها تقرير الكونغرس بخصوص علاقة السعودية بأحداث 11 أيلول من عام 2001 في الولايات المتحدة.

■ مالك موصللي

علّقت صحيفة «نيويورك بوست» الأمريكية على مضمون الوثائق التي جرى نشرها، مؤكدة على أن: «المذكرة الصادرة عن وكالة الاستخبارات الأميركية، في تموز 2002، تقول بما لا لبس فيه: إن الصلات بين خاطفي الطائرات والسفارة السعودية في واشنطن والقنصلية في لوس أنجلس، تشكل دليلاً لا يقبل الجدل على أن هناك دعماً لهؤلاء الإرهابيين من داخل الحكومة السعودية».

فيما رأت صحيفة «نيويورك تايمز» إن الوثائق تعد تصويراً واضحاً لـ«عمل المملكة على عرقلة المحاولات الأميركية، لمحاربة القاعدة في السنوات التي سبقت 11 أيلول»، مشيرة إلى أنها تحتوي «على فهرس من الاجتماعات والصدف المثيرة للشكوك».

وتشير ملفات وكالة الاستخبارات، المركزية الأمريكية ومذكرة وكالة الاستخبارات إلى أن منفذي الأحداث كانت لديهم صلة مع الشيخ فهد الثميري، الذي كان موظفاً في القنصلية السعودية في لوس أنجلس. وتظهر السجلات أن الدبلوماسي السعودي المعتمد، أجرى عشرات المحادثات الهاتفية، ولقاءً واحداً على الأقل مع أحد منسقي العملية، وذلك قبل قدوم منفذي هجوم 11 أيلول. وتذكر إحدى صفحات التقرير أن «مسؤولاً في وزارة الداخلية السعودية بقي في الفندق ذاته في فيرجينيا، مع منفذي الهجوم على البنتاغون، في الليلة التي سبقت الاستيلاء على الطائرة».

لا تبدو أياً من المعلومات آنفة الذكر غريبة، حيث أنه من المعروف أن للسعودية دوراً مهماً، كميناء تصدير للجماعات المتشددة التي تعمل تحت اللواء الأمريكي أولاً وآخيراً، لكن ما يبدو غريباً فعلاً هو التوقيت الذي يجري فيه الكشف عن مثل هذه الوثائق، وهو اللحظة التي تضطر فيها الإدارة الأمريكية إلى صياغة توافقات على المستوى الدولي، وبالتالي، فهي بأمس الحاجة إلى تأمين أكبر قدر واسع من «الطاعة والولاء» الإقليميين لنفوذها.

بهذا، يمكن القول إن الكشف عن تلك الوثائق ما هو عملياً إلا «فركة إذن» للحليف السعودي إن حاول، هو أو غيره من الحلفاء، أن يستشعر التراجع في الوزن النوعي للولايات المتحدة على الصعيد العالمي، وبالتالي، هي تريد ضمان ألا يقفز أحد من الحلفاء من المركب الأمريكي الذي تزداد احتمالات غرقه.

يكاد يحلم قادة رومانيا بأن يهاجم حلف «شمال الأطلسي» روسيا، إذ أن هناك من يعتقد أنه مع الهزيمة المفترضة لروسيا في هذا الهجوم، ستتم استعادة الأراضي السابقة التي كانت تنتمي إلى رومانيا، ومنها جزيرة الثعابين، وجنوب بيسارابيا، وشمال بوكوفينا، والتي تنتمي اليوم إلى أوكرانيا.

سيناريوهات متخيلة: «الناتو» يرعب شرق أوروبا

في إطار اجتماعات حلف «الناتو»، عرضت رومانيا «حماية» الجيش الأوكراني في مجال الأمن السيبراني «أمن المعلومات والشبكات»، وفي الفترة الأخيرة، تبدي رومانيا نشاطاً عالي المستوى على خط الأزمة الأوكرانية. وفي الخلفية الأيديولوجية لصانعي السياسات في رومانيا تحضر تلك الأراضي التي تشكل أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة لرومانيا، وللجناح الشرقي لحلف الناتو عموماً.

■ بقلم: فالنتين فاسيليسكو
إعداد: رنا مقداد

لماذا قد تحتاج رومانيا إلى أسطول دائم لحلف «شمال الأطلسي» في البحر الأسود؟ في الواقع، لقد كانت مبادرة غريبة تلك التي أعلن عنها الرئيس الروماني، كلاوس لوهانيس، عبر طلبه انتهاك اتفاقية «مونترو» من خلال وجود دائم في البحر الأسود من مجموعات قتالية قوية تابعة لبحرية «الناتو»، تتألف من سفن حربية تابعة للدول غير المتشاطئة على البحر الأسود «مثل الولايات المتحدة، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، وإنجلترا وكندا». تعرّض اقتراح رومانيا للرفض من جانب بلغاريا- الدولة التي تملك شواطئ على البحر الأسود مثل رومانيا. إذ تقيّد اتفاقية «مونترو» لعام 1936 حركة السفن الحربية التابعة للدول غير المتشاطئة على البحر الأسود من الدخول عن طريق مضيق البوسفور والدردنيل، إذا بلغت حمولتها أكثر من 10 آلاف طن. وإذا كانت السفن تعود للدول المتشاطئة على البحر الأسود والتي تشارك في حلف شمال الأطلسي، فينبغي ألا يتجاوز إجمالي حمولتها 45 ألف طن. في الحقيقة، يدلّ هذا الاقتراح «الحربجي» من رومانيا على موقف عدواني ضد روسيا كثيراً ما تمّت تغذيته أمريكياً.

ماذا عن جزيرة «الثعابين»؟

تثبت دعوة رومانيا آنفة الذكر الغياب الكامل للاستراتيجية العسكرية لدى سياسييها الذين لا يدخرون جهداً، وسوف يقومون بأي شيء لتحريك مواجهة عسكرية ضد روسيا. والحجة البسيطة في هذا الاتجاه، هي أنه في البحر الأسود، وعلى بعد 45 كيلومتر من الساحل الروماني، و120 كم من أوديسا الأوكرانية، تقع جزيرة الثعابين التي يبلغ طولها حوالي 1 كم، وعرضها 440 متر..!

حتى عام 1944، كانت جزيرة الثعابين مع رومانيا، ثم أصبحت في حوزة الاتحاد السوفييتي حتى العام 1991، ومنذ ذلك الحين، هي تابعة للأراضي الأوكرانية. لم يطعن قادة رومانيا أبداً بحق أوكرانيا في هذه الجزيرة في السنوات الـ25 الماضية، والتي كانت في الواقع أراض رومانية. وهذا يثبت أن القادة السياسيين والعسكريين الرومانيين لا يعرفون الأهمية الاستراتيجية لهذه الجزيرة في البحر الأسود، والتي هي أثمن من أسطول حلف شمال الأطلسي كله. فمن جزيرة الثعابين، يمكن لرومانيا كشف ومواجهة أي إنزال روسي مفترض على الشاطئ الروماني.

رومانيا: بوابة التغلغل في غرب البلقان

في العلوم العسكرية، تشكل رومانيا بوابة لمسرح العمليات العسكرية في وسط وشرق أوروبا، من خلال التطبيقات العسكرية والتوجه الاستراتيجي في البلقان الذي يشكل الجسر الذي يربط بين أوروبا وآسيا والقارة الأفريقية.

ويتم وضع رومانيا استراتيجياً على أحد الاتجاهين الاستراتيجيين في منطقة البلقان، وهو الاتجاه التركي، الذي يبدأ في اسطنبول، ويمر عبر الأراضي البلغارية وجبال الكاربات في رومانيا، ليصل إلى بلغراد وبانتشيفو وبودابست. لذلك، فإن روسيا مهتمة في خلق توازن جديد مستقر في غرب البلقان، وتحتاج إلى ممر من البحر الأسود إلى صربيا مروراً برومانيا. إلا أن ذلك ليس خاضعاً لمنطق الهيمنة كما تحاول برويغندا الغرب أن تصوّر، إنما يخضع للمواجهة الاستراتيجية الجارية منذ زمن بين الناتو، ومن خلفه الولايات المتحدة، وروسيا.

جزيرة «الثعابين» بديل الدرع الباليستية الأمريكية

مجمع الدرع الباليستية الذي يقع في مدينة ديفيسيلو «رومانيا» هو مجمع على الأرض، مأخوذ من فئة المدمرة الأمريكية «أرلايج بيرك»، ويتألف من رادار نوع «AN/SPY-1D»، لتتبع الأهداف والصواريخ، ويعتمد على النظام التوجيهي «VLS Mk-41»، ويتألف من خلايا من النوع العمودي.

لدى نظام «VLS Mk-41» القدرة على إطلاق مجموعة من أنواع الصواريخ من السفن إلى الفضاء، ومن السفن ضد السفن والغواصات والأهداف الساحلية، وهذه المجموعات ذات مدى متنوع حسب الأهداف تتراوح من مدى 190كم وحتى 1400كم، مع وجود نظام إطلاق عمودي. ولهذا السبب، فإن المركز الأمريكي بأكمله في ديفيسيلو يناسب جزيرة «الثعابين».

تشكل جزيرة «الثعابين» أيضاً المكان الأمثل لبؤرة استيطانية تهدف للسيطرة على الوضع حول ترانسنيستريا. وترانسنيستريا الانفصالية هي جزء من مولدوفيا «بيسارابيا الرومانية السابقة»، والتي لا تملك حدوداً مع روسيا، وتستضيف وحدة من قوات «حفظ السلام» التي لا تزال تتكون من الجيش الروسي.

لقد مررت كل من أوكرانيا ومولدوفيا قانوناً يلغي الاتفاقات السابقة بشأن العبور من ترانسنيستريا وإليها. وتبلغ الحدود بين ترانسنيستريا وأوديسا- حيث تم نشر لواء ميكانيكي أوكراني- 95 كم، ويتم التحكم في النقاط جميعها من جانب أوكرانيا. وفي الأساس، فإن الجيش الروسي في ترانسنيستريا لا يمكن استبداله أو دعمه في تلك المنطقة.

في 2016/1/4، نشر هارون كوريفا، مستشار وزير خارجية السويد، مقالاً وضع فيه السيناريو التالي: «سترسل روسيا سفناً مدنية عدة بالقرب من جزيرة الثعابين، مدربة في مهمات إنسانية من القواعد الروسية في شبه جزيرة القرم. هؤلاء سيكونون في الواقع «الرجال الخضر الصغار» الروس، يحملون «AK-47» التي من شأنها أن تحط على جزيرة الثعابين، باستخدام قوارب يتم تثبيتها على أربع غواصات روسية وسفن تحت الحماية الروسية. سوف تتحول جزيرة الثعابين تحت الاحتلال الروسي إلى ثكنة عسكرية من شأنها أن تضمن السيطرة على البحر الأسود من الجهتين الغربية والشمالية الغربية». يمثل هذا جزءاً يسيراً من حملة الإرعاب التي يقوم بها الأوروبيون بحق دول أوروبا الشرقية.

سيناريو للمواجهة كهذا هو محسوم استراتيجياً لمصلحة الروس.. وهناك آلاف الطرق لاحتوائه

المعركة محسومة.. استراتيجياً

إذا قررت روسيا الاستيلاء على جزيرة الثعابين، يمكن لأسطول البحر الأسود من السفن الحربية الروسية إغلاق خليج أوديسا، وبالتالي منع الأسطول الأوكراني الصغير من الحركة. وباستخدام الطائرات المقاتلة، والمروحيات الهجومية والسفن الحربية ومشاة البحرية الروس يمكن أن تستسلم الحامية الأوكرانية في جزيرة الأفعى خلال 2-4 ساعات، دون أية مقاومة..!

كما أن الطرادات من طبقة بويان التابعة لأسطول بحر قزوين، لديها منصات لإطلاق صواريخ كروز KALIBR «ذات المدى 1500 كلم» والتي ضربت سابقاً أهدافاً عدة في سورية. حيث استخدمت روسيا معدات النطاق العريض الروسية «Krasukha-4» بنجاح في سورية، والتي تستطيع التشويش على رادارات الأقمار الصناعية العسكرية والرادارات البحرية والرادارات الأرضية في رومانيا ومولدوفا وجنوب أوكرانيا، وعلى أواكس وعلى رادارات المقاتلات الجوية.

ويمكن للروس بناء منصات للرادار ذات القوة العالية للتشويش من نوع «Krasukha-4» على التربة الصخرية في جزيرة الثعابين، وأنظمة «REDUT UKSK»، وأنظمة صواريخ أرض- أرض من نوع اسكندر «500 كم». وهكذا سيكون لدى روسيا الإمكانية لخلق «منطقة استبعاد» في البحر الأسود في الشمال الغربي، كما هو الحال في شبه جزيرة القرم، حيث بإمكانها أن تمنع جميع وسائل حلف شمال الأطلسي من العمل. وسيكون الدرع الباليستي الأمريكي في ديفيسيلو مهدداً من صواريخ اسكندر التي تقع في جزيرة الثعابين، لأن المسافة بين الموقعين هي 479 كم. بكلام آخر، تستطيع روسيا أن تفعل ذلك متى تشاء لكنها لا تفكر في ذلك، إذ أن سيناريو للمواجهة كهذا هو محسوم استراتيجياً لمصلحة الروس، وهناك آلاف الطرق لاحتوائه

وجدتها

■ د. عروب المصري

هل تحرضنا أهوار العراق لنتحرك؟

سجل العراق الأسبوع الفائت إنجازاً لافتاً تمثل بموافقة لجنة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو في اجتماعها الـ40، ضم ثلاث مدن قديمة وأربعة من الأهوار العراقية إلى سجل لائحة التراث العالمي.
وبضم الأهوار باتت المواقع العراقية المدرجة في لائحة التراث تضم: سامراء وأشور والحضر وقلعة اربيل وأور وأريدو والوركاء بالإضافة إلى مناطق الأهوار، الأهوار الوسطى والحمّار الشرقي والغربي وهور الحويزة.
توفر منطقة الأهوار التي يغذيها نهرا دجلة والفرات أراض للمزارع السمكية على الخليج وتضم أنواعاً من الطيور مثل أبو منجل المقدس.
وتعد أيضاً نقطة استراحة وتوقف لآلاف الطيور المهاجرة بين سيبيريا وأفريقيا، وكانت الأهوار قد جفت بالكامل تقريباً خلال فترات سابقة.
إن إدراج موقع على قائمة التراث العالمي يعني بالدرجة الأولى أن هذا الموقع يحظى باهتمام الدولة المعنية.
إن المسؤولية تقع أولاً وأخيراً علينا، وليس إدراج أي من المواقع السورية إلا على سبيل التذكير بأننا نهتم بتراثنا الثقافي والطبيعي ونحترمه ونحميه.
وهناك العديد من المهتمين بهذا الشأن في سورية، إن كانوا من الآثاريين أو العاملين في الشأن الثقافي أو السياحي، أو المهتمين بالقضايا البيئية، ويبدو أن ملف الاهتمام بالمواقع المرشحة لتكون على قوائم التراث العالمي الثقافي والطبيعي أو المختلطة كان آخذاً بالتراجع بسبب إحداثيات الحرب التي تجعل الشأن الإنساني في الدرجة الأولى حتماً، لكن الدمار الحاصل في تراثنا على مختلف تنويعاته، هذا التدمير المتعمد، أعاد هذا الملف إلى الواجهة بعد تدمير عدد من الصروح التاريخية الهامة «بل والمدرجة على قوائم اليونسكو للتراث العالمي الثقافي كمدينة تدمر ومدينة حلب»، وجعل الخوف يدب من أنه يجري تدمير هذه المواقع بطريقة ممنهجة كما جرى سابقاً في العراق أثناء الغزو الأمريكي له.
تعمل الآن لجنة مشتركة من وزارة البيئة والثقافة والسياحة وبعض المهتمين والخبراء على دراسة المواقع المرشحة لتكون في قائمة مواقع التراث العالمي الثقافي والطبيعي والمختلط. ولا ندري إن كانت خطوة ضم وزارة البيئة إلى الإدارة المحلية يمكن أن تؤثر على هذا الملف باعتباره ملفاً ملحاً ضمن ظروف الحرب ولم يعد ممكناً أن يقفز إلى الدرجة الثانية من لوائح الأولويات.

aroub@kassioun.org

كيف يمكن حساب كلفة إنشاء مزرعة تدار بالطاقة الشمسية؟

تحت عنوان حساب كلفة إنشاء مزرعة تدار بالطاقة الشمسية في المناطق النائية» قدم الباحثان سهام كامل محمد وعماد حمدي جاسم بحثهما في مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية

ازداد في المدة الأخيرة الاتجاه نحو البحث عن مصادر للطاقة البديلة لأن مصادر الطاقة الحالية هي مصادر ناضبة ولن تكفي لسد الاحتياجات، فكان التفكير بمصادر الطاقة الشمسية لتوليد الطاقة الكهربائية، وخاصة في المناطق النائية، لبعدها عن مراكز التجهيز فضلاً عن الجهد والوقت والتكاليف التي تحتاج إليها، ولأنّها طاقة نظيفة وغير ملوثة للبيئة وغير ناضبة. ولأجل الوصول إلى التنمية الريفية وتحسين أوضاع سكان الأرياف من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، فلا بد من البحث عن مورد بديل ومتجدد ونظيف ألا وهو الطاقة الشمسية لغرض توليد الطاقة الكهربائية لاستثمارها في تنمية القطاع الزراعي.
تستخدم المنظومة لتوليد الكهرباء بالطاقة الشمسية بقدرة 1000 واط أي ما يعادل 5 أمبير وهي كافية لسد احتياجات المنزل الريفي، والمضخة الزراعية ومجدية اقتصادياً مقارنة بمولد الكهرباء الذي يعمل بالوقود التقليدي وبالقدرة نفسها أعلاه، وتحتاج المنظومة إلى مساحة 10 م2 وبسعر 18000 دولار وتعمل لثلاث أيام غائمة. أما بالنسبة إلى التدفئة في فصل الشتاء للمنزل وقاعة الدواجن فإن الكلفة تبلغ 2535,1 دولار لكل منهما، أما التدفئة للبيت المحمي فتبلغ 3040,1 دولار وممكن استغلالها بغرض تجفيف الفواكه والخضر وتعقيم التربة للبيت المحمي بالطاقة الشمسية في فصل الصيف.
إن الاهتمام بالطاقات المتجددة ينبع من أنَّها إحدى الإمكانيات المتاحة بالاستغلال الأمثل لها، وتوجيهها لأغراض التنمية في مجالات تزويد السكان بالغذاء، وجدوى الاستخدام ليس في الوقت الحالي فقط وإنما باتجاه المستقبل إذ أن موارد الطاقة التقليدية الحالية وبصورة عامة هي مصادر ناضبة فزيادة في استهلاكها يقابله نقصان في حجم احتياطياتها المتوافرة، ومع الزمن والتطور في الاحتياج للطاقة فإنّها لن تكفي لسد هذه الاحتياجات، وعليه يجب تطوير المصادر البديلة بما يسد حاجة المستقبل الذي يؤدي إلى إمكانية استخدامها في نطاق المناطق الريفية النائية، بسبب عامل البعد عن مراكز التجهيز بما ينطوي على جهد وكلفة وزمن.
في حين تحتاج أنظمة الديزل إلى نفقات الوقود والصيانة وكلما زاد حجم الحمل على الديزل صارت النفقات أكبر للوقود والصيانة إذ يمكن أن تصل إلى 60 % من كلفة دورة الحياة الكلية لنظام الديزل، عكس نظم الخلايا الشمسية إذ لا تحتاج إلى صيانة مما يجعلها مناسبة للمناطق النائية حيث لا يتوافر الفنيون المؤهلون للإصلاح وصيانة المولدات التي تعمل بالوقود التقليدي، كما أنها نظيفة وغير ملوثة للبيئة ولا تترك فضلات ولا تنضب مما يكسبها وضعاً خاصاً في هذا المجال.
فالاهتمام بالطاقة الشمسية في مجالات عدة بغرض الوصول إلى مزيد من التنمية الريفية، سواء بالمناطق القديمة أو المستصلحة حديثاً بقصد تحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية من جهة والحد من تفاقم ظاهرة التصحر من جهة أخرى، نظراً إلى تشتت السكان على مساحة شاسعة وإلى عزلة كثير من الأماكن الآهلة، وهنا يصبح البحث عن مورد بديل أمراً رشيداً، ويمكن أن يتمثل هذا البديل في الطاقات المتجددة ولاسيما الطاقة الشمسية.

ميزات استخدام الطاقة الشمسية

إن معظم المناطق النائية بعيدة جداً عن خطوط نقل وتوزيع الطاقة التابعة للشبكة الوطنية للكهرباء والماء، مما يتطلب استخدام الطاقة الشمسية لعدة ميزات:
التمكن من الاستثمار في المناطق النائية والأرياف مدداً طويلة تصل إلى أكثر من 25 سنة بسبب عمر المنظومات الطويل، وهنا تكمن جدواها الاقتصادية.
توافر المساحة الكافية لوضع الألواح الشمسية عكس المدن التي لا تتوافر فيها مثل هذه المساحات.
سهولة النصب والتشغيل لها وقلة الصيانة أو انعدامها، ولا تحتاج إلى توافر الفنيين في المناطق النائية.
إمكانية استخدام أكبر عدد من الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية دون الحاجة لبطاريات الخزن؛ مما يقلل الكلفة لارتباط عمل هذه الأجهزة نهاراً فقط، وهي أساسية في المزرعة مثلاً المضخات الزراعية لسقي المزروعات، وجهاز تجفيف الفواكه والخضر وتعقيم التربة والتدفئة للمنزل والبيوت المحمية، والطباخ الشمسي، والسخان الشمسي، والمقطر الشمسي البسيط.

لا تتطلب المنظومة سوى غسل الألواح الشمسية من الأتربة لزيادة كفاءتها.
لا تستعمل الطاقات التقليدية، وعليه يعد مشروع الطاقة الشمسية نظيفاً وخالياً من التلوث.
تقلل الطاقة الشمسية من تكاليف البنية التحتية للماء والكهرباء في المناطق النائية، إذ أن توسيع هذه الشبكات وإيصالها إلى هذه المناطق عملية مكلفة جداً في حالة استخدام الطاقة التقليدية.

الاستنتاجات

توصل البحث إلى ما يأتي:
تولد الطاقة الكهربائية باستخدام الطاقة الشمسية هي ذات جدوى اقتصادية مقارنة بالطاقة التقليدية حيث تقوم المنظومة بتوليد الكهرباء بقدرة 1000 واط، أي ما يعادل 5 أمبير وبكلفة 2 دولار يومياً وهي مجزية مقارنة بمولد كهربائي يعمل بالوقود التقليدي لتوليد الأمبيرات نفسها وبكلفة 9,6 دولاراً يومياً، فبالإمكان إيصال الماء والكهرباء إلى المناطق النائية بتكاليف أقل بكثير من إيصالها إلى تلك المناطق بالطاقة الكهربائية
ارتفاع التلوث البيئي المؤثر في صحة الإنسان والحيوان والنبات نتيجة استخدام المولدات في توليد الطاقة الكهربائية.
من الممكن الاستثمار في المناطق النائية والأرياف مدة تزيد على 25 سنة، من خلال استخدام الطاقة الشمسية في توليد الطاقة الكهربائية بسبب العمر الطويل للمنظومة. لا تتطلب منظومة الطاقة الشمسية أية صيانة سوى تنظيفها من الأتربة لزيادة كفاءتها.
إمكانية استخدام أكبر عدد من الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية دون الحاجة لبطاريات الخزن مما يقلّل الكلفة لارتباط عمل هذه الأجهزة نهاراً كالمضخات الزراعية وجهاز تجفيف الفواكه والخضر وتعقيم التربة وتدفئة المنزل الريفي والبيوت المحمية والطباخ والسخان الشمسي.
التدفئة بالطاقة الشمسية ذات جدوى اقتصادية، إذ يتطلب تسديد مبلغ 0,84 من الدولار يومياً مقارنة ب 8,5 دولار لمنظومة التدفئة العاملة بالنفط.
التكاليف الإجمالية لتشغيل أجهزة المنزل التي تعمل بالطاقة الشمسية ذات جدوى اقتصادية، إذ أن الكلفة اليومية لتلك الأجهزة التي تتجاوز عمرها 25 سنة هي 2,39 دولاراً وهي أرخص من فاتورة الكهرباء.

التوصيات

يوصي البحث بالآتي:
استخدام الطاقة الشمسية في المزارع في المناطق النائية لتقليل تكاليف الإنتاج الزراعي وينعكس ذلك على الفلاح المنتج والمستهلك.
دعم الفلاحين من خلال تقديم القروض الميسرة من قبل الدولة لاستخدام الطاقة الشمسية في إدارة مزارعهم واستيفائها منهم، بحيث تكون طويلة الأمد مساوية أو اقل من فاتورة الكهرباء التي تدفع شهرياً.
تشجيع إجراء البحوث المستفيضة حول استخدام الطاقة الشمسية في المستقبل وتكاليفها للجهات ذات العلاقة.
الاهتمام بالطاقة المتجددة الأخرى كطاقة الرياح في إدارة وتشغيل المزارع للمناطق النائية.
القيام بمشاريع زراعية من قبل الدولة كنموذج يحتذى به لإدخال هذه التقنية في الزراعة.

فكر بماهية العدد!!

عمد الفيثاغوريون إلى تعريف العدد بأنه «وفرة محددة من الأشياء» أو أنه «مجموعة مكونة من تكديس الوحدات»

■ م. رائد حوري

إن استخدام الأرقام العربية التسعة والصفر في كتاب الخوارزمي كان سبباً لمعركة استمرت ثلاثة قرون في أوربا

والأعـداد في أصل دلالاتـها تنقسم إلى مجموعتين الأعداد الأولية وهي أعداد غير قابلة للقسمة إلا على نفسها أو على الواحد، وهي تبعاً لذلك غير قابلة للاختزال وتكون على النسق 1،3،5،7،...والأمـــر نفسه في الأعـداد المركبة 11،13،17،19،...كـذلـك أوضح الفيثاغوريون أن الواحد هو المقياس، وبه تبدأ السلسلة العددية وأن العدد اثنين هـو بـداية الأعـداد الزوجـية، كما أخذ عن العرب 0الصفر والأعداد العربية أخذ الغرب بها فالواحدة لها زاوية واحدة، و2 زاويـتـان، و3ثلاثة زوايا، و4 أربعة زوايا، و5خمس زوايا وهكذا دواليك ... وكانت تبدأ من اليسار والأحرف العربية من اليمين.

استبدلت بالأرقام الغبارية1، 2، 3، 4، 5، 6، 7....دواليك السنسكريتية ...وينصب مفهوم العدد على الكم من الموجودات دون الكيف .

النظام العشري

يقول جون ماكليش في كتابه «العدد من الحـضارات القـديمة حـتى عصر الكومبيوتر» أننا تعلمنا هذه الحقائق عن النظام العشري تماما وقبلناها على أنها شيء مألوف لا يستحق التوقف عنده، ونحن ننظر في الواقع إلى الأعداد العشرية على أنها طبيعية بل قدرية غير أن الأوربيين اتهموا الرياضيين العرب الذين كانوا يمارسون المهارات الجديدة بأنهم سحرة ومخادعون...» وكان الشكل العددي بالمربع السحري حيث يكون فيه مجموع كل ثلاثة أعداد، أفقياً وعمودياً وقطرياً، يساوي 15 2 9 4 8 1 6 3 5 7

الصفر

معلوم أن الاهـتداء إلـى الصفر جاء متأخراً من الزمان وبعد حقب مديدة. وقد عرفه الصينيون في عهود مبكرة ثـم عـرفـه الـهـنـود. والـعـرب هـم في طليعة من تلقفوه وانتبهوا إلى أهميته البـالغة وقد أحـدث نقلة واسـعة في علم الحساب والـعدد، وقفزة كبرى في العلوم الرياضية. وكان من شأن الـخـوارزمي في الجبر أن أعطى هذا الاسم الجبرAlgebra إلى هذا الفرع من الرياضيات الذي يقوم على مفهوم الـمـعـادلات . وتـعـد رسالـتـه تلك في الحساب أول كتاب في العالم يوضح عمليات الأعـداد الـعشرية. كما أدت رسالته إلى استحداث كلمة جديدة هي الخـوارزمية Algorism الـذي يعرف الآن /عـلـم الـحـسـاب/ تـرمـيـز الأعـداد بالحروف.

معركة حول الخوارزمي

.. إن استخدام الأرقام العربية التسعة والصفر في كتاب الـخـوارزمـي كان سبباً لمعركة استمرت ثلاثة قرون في أوربا، مع الحساب الجديد وضده. وقد وقفت قوى التغيير مع البرنامج الجديد أي مع نظام المراتب «الخانات» وذلك باستخدام عشرة رموز فقط لتمثيل جميع الأعـداد. أما معارضو التغيير فكانوا أغلبية الـتـجار والمحاسبين الذين اعـتـادوا اسـتـخـدام «المـعداد» واستعمال الأرقام الأبجدية اليونانية والـرومـانـية. وإن اسـتـخـدام الـتـعداد العشري القائم على مبدأ المرتبة أو الخانة والذي انتقل إلى شعوب العالم في نـهـاية المـطـاف يـشـبـه من حيث المبدأ نظام المقاييس العشري الذي ابتكره الفرنسيون في مجال المسافات والأوزان والمكاييل، الذي لقي أيضاً معارضة شديدة ولاسيما في إنكلترا وأمـريـكـا. وبـفـضـل الـنـظـام الـعـشـري والنظام الستيني الملحق به، وبفضل التوصل إلى نظام الخانات واكتشاف الصفر، حـدث تـقـدم هـائـل ومـتـسـارع في الـعـلـوم الـريـاضـيـة، إذ فـتـح بـاب الـعـلـوم الـبـحـتـة عـلـى مـصـراعـيـه، وغـدا الطريق ممهداً إلـى إنـجـازات علمية وتكنولوجية لم تكن تخطر ببال أحد قبل وقت قصير من أزمنتنا الحديثة. وفي هذا الصدد قال المفكر الفرنسي إرنست رينان Renanفـي محاضرة له سنة 1883، وبعبارات تنطوي على قدر من الانبهار. «إن أبسط تلميذ في المدرسة اليوم يحيط بالحقائق التي كان أرخميدس سيضحي بحياته من أجل بلوغها». فماذا عساه يقول في أيامنا هذه تجاه تلميذ القرن الحادي والـعشرين الـذي يـعيش في غمار بحر زاخر من المعلومات. إنه العصر الرقمي، عصر المعلوماتية.

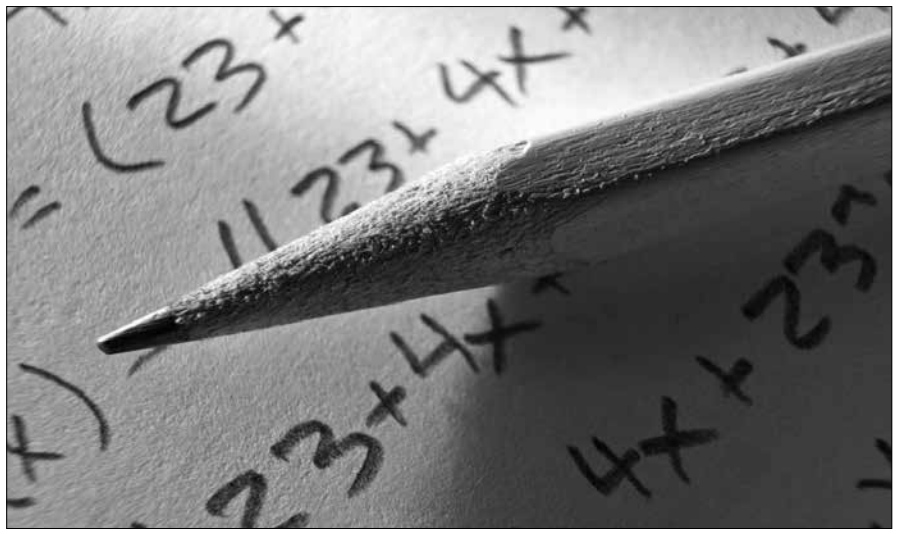

أخبار العلم

لغز نسائي في جينوم الإنسان

استوضح العلماء كيف يلتف كروموسوم –إكس زائد ليشكل ما يسمى بـ «جُسَيم بار» غير النشط في أجسام النساء والثدييات. فمن المعروف أن البشر وغيرهم من الثدييات يخضعون لنظام «Y» «X» في مجال تحديد الجنس، حيث يمتلك الرجال وباقي الذكور كروموسوم Y الرجالي وكروموسوم X النسائي. فيما تمتلك النساء وباقي الإناث كروموسومي X.

كما استوضح العلماء من خلال متابعة أنشوطة الحمض النووي باستخدام النمذجة الكمبيوترية أن خيوط الجينوم في «جسيم بار» ملتفة ومشكّلةً أناشيط ضخمة تتضمن ملايين الأحرف من النوكليوتيدات.

وتتشكل تلك الأنشوطة المعقدة بفضل وجـود شفرة وراثة مسماة «DXZ4» كان من المعتقد سابقاً أنها لا تلعب أي دور. وتحضر أناشيط مثيلة حسب العلماء ليس في جينوم الإنسان فقط بل في جينوم الفئران والقرود أيضاً.

ويرى العلماء أن ظهور خلل في عمل الأنشوطة قد يتسبب في المشاكل التي تواجهها النساء اللواتي لم تنفصل كروموسوماتها «X» الزائدة تماماً عن العمل. ومن ضمن تلك المشاكل مرض «ريتا» ومرض التوحد وغيرهما من الأمراض النفسية.

طائرة بلا طيار في سورية

قامت روسيا في أثناء عمليتها الحربية في سوريا بتجربة طائرات بلا طيار تعمل بالوقود الهيدروجيني.

وقال ناطق باسم مجمع الصناعات الحربية الروسية: إن الطائرات بلا طيار عادت كلها بسلامة إلى روسيا حيث سيدرس الخبراء تصرف مثل هذه الآليات في ظروف الطقس الحار والعواصف الرملية. وأضاف الناطق: إن الطائرات بلا طيار التي خضعت للاختبار في سورية بوسعها البقاء في الجو مدة طويلة تبلغ 8 ساعات. وهي تنتج الهيدروجين باستمرار، ما يمكن محركها من استكمال طاقته.

يذكر أن روسيا كانت قد اختبرت في وقت سابق موديلًا حديثاً لطائرة عمودية ثمانية المراوح بلا طيار تـزود بـمـحـرك هـيـدروجـيـنـي جـوي. وجـرت الاختبارات في ضواحي موسكو في الفترة ما بين آذار 2015 ونيسان 2016 .

يذكر أيضاً أن وزن الطائرة بلغ 12 كيلوغراماً. أما قدرة محركها فبلغت 1,3 كيلوواط. وبوسعها نقل حمولة بوزن 0,5 كيلوغرام.

صحة الأصول الآرية للأوروبيين!!!

شهد الحمض النووي الذي استخرجه العلماء من جماجم مزارعين قدامى سكنوا إيران منذ 12 ألف عام أن الأوروبيين الأوائل لم يكونوا قط أحفادا للإيرانيين القدامى.

وكان من المعتقد منذ زمن بعيد أن المزارعين الأوروبيين الأوائل كانوا أحفاداً لسكان الشرق الأوسط والأناضول وإيران الذين هجروا من هناك إلى أوروبا منذ 10 – 12 ألف عام.

لكن الباحث «يواهيم برهر» وزملاءه من جامعة ماينز الألمانية قدموا أدلة على أن سكان أوروبا لا يعتبرون في حقيقة الأمر من وجهة النظر الوراثية أحفاداً لتلك المجموعة من المزارعين. توصل العلماء إلى هذا الاستنتاج بعد دراسة الحمض النووي لبعض الجماجم التابعة للإيرانيين القدامى والتي عثر عليها في منحدرات جبال «زاغروس» في أقدم المستوطنات الزراعية على وجه الأرض.

وإذ قارن برهر وفريقه بين الحمض النووي لسكان جبال «زاغروس» الذي كانوا من أوائل المزارعين في الأرض وذاك العائد للأوروبيين والأسيويين والمعاصرين لنا، اتضح له أن سكان جبال «زاغروس» منحوا أسرار الزراعة لا للأوروبيين بل للإيرانيين والهندوس والأفغان لأن الشعوب الأخيرة تشبههم من وجهة النظر الوراثية.

يشهد ذلك كله أن الأوروبيين لم يكونوا أحفادا للمزارعين الأوائل.

باختصار..!

أعمال متنوعة في حفل التخرج

عرض طلاب معهد الفنون التطبيقية بجامعة دمشق أمام الجمهور، ضمن حفل تخرجهم – جهودهم على مدار العام، محاولين إخراج لوحات فنية ومنحوتات خزفية ولقطات مصورة وأفلام سينمائية صغيرة، من خلال تصوير واقعهم وإخراج أعمالهم بحس مرهف وطريقة فنية.
قدم الطلاب أعمالاً متنوعةً في مجالات الخط العربي والتصوير والخزف والنحت، إذ اختار بعضهم تقديم مجموعة من القطع الخزفية على شكل جرار مخروطية مختلفة الأحجام، أو لوحات خط استخدم فيها خط الثلث وتتضمن زخرفة على شكل حلي، واستخدام الزخرفة والتظليل لتعكس جمالية الخط العربي.

فعاليات ملتقى دمشق الثقافي في خان أسعد باشا

تنطلق عند السادسة من مساء يوم الجمعة 2016/7/22 فعاليات ملتقى «دمشق الثقافي» الذي تقيمه وزارة الثقافة في خان أسعد باشا بدمشق.
وتتضمن فعاليات الملتقى الذي يستمر حتى الخامس والعشرين من الشهر الجاري معارض للفنون التشكيلية والكتاب إضافة إلى أمسيات موسيقية وأدبية.

عرض تحف مسرح البولشوي في ضواحي موسكو

سيتمكن الزوار من مشاهدة كتب وأزياء وديكورات تاريخية تم تصميمها خصيصاً لإحياء حفلات مسرح البولشوي وذلك في المعرض الذي سيقام في مجمّع «القدس الجديدة» في مدينة «إيسترا» بضواحي موسكو. العرض سينطلق الأربعاء 20 تموز الجاري ويستمر إلى 22 كانون الثاني من عام 2017.
وستعرض قطع أثرية وتحف تاريخية خاصة، ما يقرب من 120 تحفة أثرية، كما سيتم عرض أزياء وبدلات وأغراض خاصة بالفنانين والممثلين البارزين الذين تألقوا على خشبة هذا المسرح، إضافة إلى رسومات وصور لبناية المسرح في فترات مختلفة من تاريخه الممتد لسنين طوال.
تجدر الإشارة إلى أن عدد القطع والتحف الأثرية والتاريخية في متحف مسرح البولشوي تصل إلى 200 ألف تحفة.

● وكالات

«الفجر هادئ هنا»

مع إنتاج فيلم ستالينغراد 2013 تكون السينما الروسية قد بدأت السير في طريق إنتاج وتطوير سينما جديدة معلنة بذلك نهاية نظرية «السينما اللا سوفييتية» التي سادت بعد عام 1990 والتي حاولت فيها تلك المؤسسة الثقافية الليبرالية التي نمت في الظل منذ ستينيات القرن العشرين أن تمسح من ذاكرة الروس حقبة من تاريخهم وتستبدلها بثقافة غريبة عنهم.

■ آلان داود

يتفق الكثير من السينمائيين في روسيا أن التقسيم الجائر لتاريخ السينما الروسية إلى مرحلة «سوفييتية» ومرحلة «ما بعد سوفييتية» ليس صحيحاً، لأن هناك امتداد واحد لتاريخ السينما في هذا البلد حتى اليوم، وقد عانت السينما الروسية هزة كبيرة بعد عام 1990 ، إذ هيمنت أفلام هوليوود المدبلجة والأفلام الروسية التي حاولت استنساخ اتجاه المدرسة الهوليوودية فأنتجت مسخاً غريباً مهمته، بالدرجة الأولى محاربة الإرث الغني والعميق الجذور للشعب الروسي وتراثه.
لم يقتصر الإنتاج السينمائي الجديد على الصعيد المحلي فقط بل امتد إلى النطاق العالمي، حيث جرى في شهر أيار الماضي من هذا العام الاحتفال التكريمي لقطاع الإنتاج السينمائي الروسي في أثناء استقبال حافل بمناسبة بداية أعمال السوق السينمائية لمهرجان كان الدولي.
نظم حفلة الاستقبال مدير السوق السينمائية جيروم بايار ومدير مهرجان كان السينمائي تيري فريمو والمديرة العامة لمؤسسة «روسكينو» يكاتيرينا متسيتوريدزي. وقد استضافت هذه الفعالية شخصيات بارزة في مجال السينما العالمية منها: مدير مهرجان البندقية السينمائي ألبيرتو باربيرو، ومديرة مهرجان Tribeca السينمائي في نيويورك فريديريكا بوابيه، وكذلك أكثر من 1500 ضيف بمن فيهم ممثلو الشركات السينمائية الكبرى كلها.
وقد تركز الاتجاه العام لحفل الاستقبال المكرس لافتتاح السوق السينمائية على روسيا بدءاً بالمقبّلات الروسية التقليدية في قائمة المأكولات، إلى طريقة تبريد المشروبات في حانة القاعة بتمريرها عبر قطع من الجليد اتخذت هيئة تماثيل ذات أشكال تجسدت في لوحات كاندينسكي ومالیفیتش وشاغال.
وأجرت إدارة الجناح الروسي عدداً من الفعاليات الأخرى، من ضمنها تقديم مشروع تحت عنوان «التركيز على السينما الروسية الجديدة»، وتقديم مجموعة من الأفلام السينمائية الروسية القصيرة، وتقديم مشاريع سينمائية جاهزة للتصوير والإنتاج المشترك وغير ذلك.

وقع تركيز السينما الروسية الجديدة على تجديد ذلك التراث الضخم من الأفلام الروائية السوفييتية التي تحمل طابع الدفاع عن الرموز الوطنية والاجتماعية

«أنا مدرس»!

شارك الفيلم الروسي «أنا مدرس» من إخراج سيرغي موكريتسكي في المسابقة الرئيسة لمهرجان بكين السينمائي الدولي السادس في الفترة بين 16–23 نيسان الماضي بمشاركة 2300 فيلم من 105 بلداً.
وتدور أحداث الفيلم في الأراضي السوفيتية المحتلة من قبل ألمانية النازية إبان الحرب الوطنية العظمى. يساعد الحب مدرساً ريفياً يدعى بافل زوبوف «يلعب دوره الممثل الروسي ألكسندر كوفتونيتس»، على تحمل الحياة وتدريس الأطفال دون أن يكون مهتماً بالسلطة التي تحكم البلاد، او الصراعات التي تجري حولها، ولكن الحرب القاسية الدائرة، وخاصة بعد أن رفع العدو فيها القناع عن وجهه الوحشي النازي، جعلت هذا المدرس ينحاز إلى جانب المقاومة ويتحول إلى شخصية مختلفة تلعب دوراً بطولياً، ويتوقف عن الاكتفاء بدوره كمدرس في بلدة صغيرة، وقف مع أبناء شعبه في نضالهم ضد المحتل الألماني حينها. جرى عرض الفيلم لأول مرة بمناسبة عيد النصر في التاسع من أيار الماضي.

استضافة السينما العالمية

كما بدأت روسيا مهرجانات السينما العالمية وانعقد في موسكو بين 7–12 حزيران الماضي مهرجان السينما الأسترالية، وحسب برنامج المهرجان جرى عرض ستة أفلام من بينها فيلم «الابنة» لمخرجه سيمون ستوان وفيلم «الخياط» لمخرجه جوسلين مورخواس وفيلم «بلد تشارلي» لمخرجه رولف دي خير. عرضت الأفلام في سينما فورمولا في موسكو.

«شمسُ الصحراءِ البيضاءُ»

وقع تركيز السينما الروسية الجديدة على تجديد ذلك التراث الضخم من الأفلام الروائية السوفييتية التي تحمل طابع الدفاع عن الرموز الوطنية والاجتماعية، وعلى هذا الطريق جرى. كانت أفلام: الهجوم على لينينغراد 2009، ستالينغراد 2013، الطليعي 2014 وحدوث تحول الكبير في إنتاج الأفلام السينمائية عام 2015: معركة سيفاستوبول، الكتيبة، القناص، الموت للاحتلال، الوطن أو الموت، الفجر هادئ هنا، الهدف، طائر الفينيق، تحية إلى كاتيوشا وعشرات الأفلام الأخرى التي تتصف بالتقنية العالية والدراما والتشويق الروائي.
ضمن هذا النسق أزيح في شهر نيسان الماضي في مقبرة «نوفوديفيتشيه» بموسكو الستار عن تمثال تذكاري لنجم السينما السوفيتية الراحل أناتولي كوزنيتسوف المعروف من خلال دوره في الفيلم الأسطورة السوفيتي «شمس الصحراء البيضاء» في محاولة التركيز على الرموز السينمائية السوفييتية.
يذكر أن نجم السينما أناتولي كوزنيتسوف «1930 – 2014» قام بأداء ما يزيد عن 100 دور في الأفلام السينمائية الروسية. وكان أكثرها شعبية دور «سوخوف» الجندي بالجيش الأحمر الذي يروي قصة الحرب الأهلية الدائرة في منطقة آسيا الوسطى في مطلع عشرينات القرن الماضي في فيلم «شمسُ الصحراءِ البيضاءُ».

سمفونية الأهوار

أدرجت لجنة التراث العالمي لمنظمة «اليونسكو» أهوار العراق ضمن لائحة التراث العالمي. وجاء في بيان المنظمة17/7/2016، أن «المناطق المدرجة ضمن المناطق المحمية تشمل ثلاث مدن أثرية وأربعة أهوار في جنوب العراق»، وأكد البيان أيضاً أن «الأهوار العراقية فريدة من نوعها، وتعتبر واحدة من أكبر المسطحات المائية الداخلية في العالم في بيئة جافة وشديدة الحرارة».

تأثر الغناء في هذه المنطقة بالبيئة والتكوين الطبيعي الذي احتضنته، فأغلب سكان هذه المنطقة من نساء ورجال وشباب يتداولون الشعر «الشعبي»

وتقع الأهوار التي يجري الحديث عنها، في جنوب العراق، وهي الحويزة في محافظة «ميسان» والأهوار الوسطى في «محافظتي ميسان وذي قار» والحمّار الشرقي في محافظة «البصرة» والحمّار الغربي في «ذي قار»، وتتمتع الأهوار بتميزها الاجتماعي والثقافي إضافة إلى خصوصيتها البيئية المميزة.

تلخص حكمة سومرية مكتوبة بالخط المسماري على لوح من الطين، البعد الحضاري لهذه المنطقة: «حيث ما تغمر المياه الأرض ينمو الخير وتخرج أجنحة السعادة إلى الوجود».

تميز سكان منطقة الأهوار بنمط اقتصادي واجتماعي معين، نتج عن تميز وتنوع البيئة التي يعيش فيها، فليس هناك أقاليم كثيرة مشابهة له في تنوعه البيئي، واختلاف نباتاته وحيواناته، حيث توجد أفضل أنواع النخيل في العالم في محافظتي ذي قار وميسان، ويعتمد السكان في عيشهم في هذه المناطق على الزراعة وتربية الحيوان والصيد، واعتمدوا في التنقل على قوارب صغيرة وصفها الشاعر العراقي مظفر النواب في ديوان الريل وحمد تحت عنوان «سفن غيلان إزيرج».

تأثر الغناء في هذه المنطقة بالبيئة والتكوين الطبيعي الذي احتضنته، فأغلب سكان هذه المنطقة من نساء ورجال وشباب يتداولون الشعر «الشعبي» بتسمياته المختلفة وأشهرها «الأبوذية والعتابا..»، كما تميزت بأنواع الغناء الحزين الذي تؤديه أصوات المغنين بنغمات شجية، غالباً ما تكون ممدودة وطويلة، وبسيطة التركيب حيث تنسجم مع أصوات الطبيعة، يرافقها آلات موسيقية بسيطة كالناي مثلاً. وقد استند كثير من المطربين والملحنين وحتى بعض الشعراء على الإرث الغنائي في جنوب العراق، مثل سعدون جابر ، حسين نعمة وفاضل عواد ، ياس خضر ، فؤاد سالم ، رياض أحمد، حميد منصور، على المفردات المعبرة عن هموم أبناء الجنوب واعتمدوا على ألحانها التراثية، فقدموا فناً مميزاً، ألحانه شجية ومعبرة ومليئة بالعاطفة. بالإضافة إلى الحالة المعاشية والفقر والإهمال الذي عانت منه المنطقة، فحمل غناؤها «بحة» مكبوتة يعلوها الحزن، لتعبر عن عدم رضى مبطن أحياناً، أو اعتمدت الرفض والاحتجاج المباشر لواقعها أحياناً أخرى، ولهذا انتفضت مرات عديدة في وجه الظلم، الذي حفظته التراث الشعبي الريفي من الضياع.

وجوه من العالم

قبل أقل من شهر على انطلاق دورة الألعاب الأولمبية في ريو، يعمل البرازيلي إدواردو كوبرا المتخصص في فنون الشارع على إنجاز «أكبر رسم جداري في العالم» في منطقة المرفا في المدينة المضيفة لأولمبياد 2016.

يرش كوبرا رذاذا أزرق اللون ثم آخر أحمر وهو على علو 20 متراً عن الأرض تحمله رافعة. يقول الفنان البالغ من العمر 40 عاماً «هو على الأرجح أكبر رسم جداري في العالم ومن المفترض أن يدخل في موسوعة غينيس للأرقام القياسية عند إنجازه».

ويمثل هذا الرسم الممتد على حوالي ثلاثة آلاف متر مربع القارات الخمس من خلال خمسة وجوه بعدد الحلقات الأولمبية، مع وجه شخص من كارين في تايلاند، وآخر من هولي في بابوازيا- غينيا الجديدة في أستراليا، وثالث لهندي من هنود تاباغو في الأمازون البرازيلية، ورابع لتشوكشي في سيبيريا، إلى جانب خامس هو لشخص من قبيلة مرسي في إثيوبيا.

ويصرح الرسام «آمل أن يساعد هذا الرسم الجداري الذي يندرج في إطار الروحية الأولمبية على التذكير بأن كل واحد منا مختلف، لكن كلنا بشر في نهاية المطاف».

وقبل البدء برسم هذه اللوحة الجدارية التي تحمل اسم «كلنا واحد»، أمضى الطاقم المعاون للرسام 15 يوماً وهو يحضر الجدار التابع لمرسى سابق من خلال سد الثغرات وطليه بالأبيض ليشكل خلفية للرسمة، حيث يعمل كوبرا ومعاونوه كل يوم من الثامنة صباحاً حتى السابعة مساء على إنجاز الرسم لإتمامه قبل انطلاق دورة الألعاب الأولمبية في الخامس من آب هذا العام.

يرسم إدواردو كوبرا على الجدران منذ سن الثانية عشرة، وكان قد بدأ بكتابة اسمه على حيطان حيه الفقير في سان باولو. أما الشارع فقد كان في نظره «سبيلاً للانخراط في المجتمع والمرح والتنديد بالتهميش».

ويقر الفنان بأنه لا يتقن سوى الرسم، فقد أدرك أنه يتمتع بمهارة خاصة في الرسم على الجدران لكنه كان يصطدم بالأحكام المسبقة السائدة في عائلته. ذاع صيت كوبرا سنة 2005 ، عندما أنجز أول عمل جداري له في مدينة ليون الفرنسية «على حائط مبنى».

■ ا.ف.ب

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف	المحافظة	الاسم	الهاتف
درعا	خالد الشرع	0932848985	دمشق وريفها	علاء عرفات	0944636640	طرطوس	صلاح معنا	0999725141	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
السويداء	مهند دليقان	0991586731	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحامضة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
			اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الجمعة 22/07/2016» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 18/12/2003
قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 03/12/2011

لعنات وأدعية سورية

■ نور أبوفرّاج

لعنة المسافر

ستحمل بلادك على ظهرك كحقيبة لا يمكن خلعها، ستبحث عن بلادك أبداً في المكان الذي تركتها فيه آخر مرة ولن تجدها. ذلك أن البلاد تفتتت وكل مهاجرٍ حمل معه قطعةً صغيرةً منها، مقطعاً تضريسياً متناه في صغره من صحاريها وأنهارها وجبالها.

وأنت، ستزرعين على شرفة شقتك الضيّقة شجرة نارنج صغيرة، وشتلة ياسمين، وأوراق نعنعٍ، ومليسة، كما لو أنك ملعونةٌ أبداً بأن تغرسي أينما حلّت خضرة موطنك في شرفات مغلقة، تستبدلين بها أصص والدتك وشساعة سطح منزلك.

هي لعنة التوق إلى أماكن لم تعد موجودة كما حفظت في ثنايا الخيال، لعنة حَمْل أجمل ما في البلاد وغرسه في أراضٍ قصيّةٍ أخرى.

دعاء النوم

فليتمدد النوم إلى جانبك في السرير، يحتضنك ويعبر بإصبعه على جفنك مراراً حتى تتعب من المقاومة، وتغرق تحت ثقل الحلم. فلتتوقف الأفكار عن التقافز وتجمد في مكانها كطفلة مجتهدة. ليرتاح الجسد ويمتد على كامل الفراش، لأن المعضلات لن تجد طريقها للحل اليوم. فليأت النوم عميقاً دافئاً لأن يومك في الغد طويلٌ طويل.

لعنة الماذا لو

كتب عليك الشك، لا يقين يتلبسك دوماً كسترة نجاة. صحيح أن الاحتمالات كانت دائماً مفتوحة، حجارة ترد مبعثرة في كل مكان، وخوارزمياتٌ معقدة. لكنها لم تكن عصيّةً على الحل هكذا بحيث ترقى إلى مصاف اللعنة. تصبح اللعنة لعنةً حينما ينغرس الشك في قلوب شعب بأكمله؛ ماذا لو كانت البلاد أكثر رقة؟ ماذا لو كنا أقل صبراً أو أكثر؟ ماذا لو لم يصعد الطفل القارب؟ ماذا لو صعد؟

وعدم اليقين الأكبر، السؤال الأعصى على الزوال؛ ماذا لو لم تقع الحرب، ولم يحدث ما حدث كله ؟

لعنة الوقت

ستمتلك إلى الأبد تقويمك الخاص، فتخل عن عام القرد والبقرة في التقويم الصيني، واترك تعداد الأعوام الميلادية والهجرية. هناك شعورٌ أبديٌ مقيم، بأننا سنصل دائماً متأخرين، مهما حاولنا أن نضبط منبهاتنا قبل الوقت المحدد. ما كان ينبغي أن يطول، ينتهي بطرفة عين، كالحياة مثلاً. وما كان يجب أن ينتهي سريعاً يمتد عمراً بأكمله.

دعاء العناق

فلتعانقك الدنيا طويلاً، أن تلتف بيديها حول جسدك حتى تشعر بالدفء والسكينة.. وعلّ العناق يطول قليلاً، فتداهمك رغبةٌ في البكاء على ما مضى وعلى شتى الخسارات.. وأن تشعر باليد الخفية تربت على كتفك وتشدك إليها أكثر حتى يُطهرك البكاء فتعود أقوى، ذلك أن للعناقات قدرة على الشفاء، ينساها من حمل جسده وحيداً

لعنة الذكرى

ستحرقك الذكرى، تلسعك كبعوضة مُلحّة. وستجد نفسك دائماً أعزل أمام دفق الذكريات التي تغمرك في الباص أو العمل أو قبل النوم. ذكرياتٍ عن مدنٍ منسية عبرتها يوماً وأمست اليوم منسية أكثر. عن أناس صادفتهم وماتوا، تعرف بعضهم تمام المعرفة، وآخرين كانوا محض عابرين.

وبينما تعيش، أو تحاول ذلك، ستخترقك الذكرى كسهم: تعيدك إلى يوم صيفي، أو رحلة مشي مسائية ... قد تظن بأنك لا تملك سوى الذكريات، ذلك أن شيئاً لم يحصل منذ زمنٍ، حدثٌ يستحق التخليد.. لن يستمر الحال هكذا، لا يمكن أن يستمر. فالذكريات الجميلة تتجمع كذرّات رمل، تندمج وتتصلب لتصبح عصيةً على النسيان.

دعاء الحب

فلتنعم بالحب، متوهجاً كان أم عذباً، جارفاً أم متمهلاً، كلاسيكياً أم معاصراً. فلتنعم بالحب، وبعدها ككل القصص الخرافية، لا بل الواقعية، سيصبح كل شيء أخف وطأة. الحب لن يحل المشكلاتٍ، لكنه سيجعل البحث عن الحلول أكثر متعة. هو لا يجعل الواقع أقل قسوة، لكنك ستمتلك حينها شخصاً يشاركك الشكوى والغضب. فلتصبح مرئياً ومسموعاً وملموساً، لتنعم بالحب لأنك تستحقه، وكنت تستحق الكثير الكثير بعد. فتغذّى بالحب أولاً حتى تصبح أقوى، وبعدها تعود لتكمل القتال من أجل ما تستحق كله.

البيان الشيوعي.. طبعة جديدة

يؤكد إنجلس أن الفكرة الرئيسية التي تسود البيان هي أن التاريخ كله «منذ انحلال الملكية المشاعية البدائية»، كان تاريخ صراعات طبقية.. في مراحل مختلفة من التطور الاجتماعي. ولكن هذا الصراع قد وصل الآن إلى تلك المرحلة التي أصبحت فيها الطبقة المستغَلة والمضطهدة «البروليتاريا» لا يمكن أن تحرر نفسها، دون أن تحرر في الوقت نفسه وإلى الأبد، المجتمع بأسره من الاستغلال والاضطهاد ومن الصراعات الطبقية..

صدر حديثاً عن دار الطليعة الجديدة طبعة جديدة من البيان الشيوعي تتضمن مشروع تبني العقيدة الشيوعية ومبادئ الشيوعية. كتب ماركس وإنجلس «بيان الحزب الشيوعي» كبرنامج لـ«عصبة الشيوعيين» بناء على توجيهات المؤتمر الثاني للعصبة. والذي دل على انتصار اتباع خط بروليتاري جديد أثناء مناقشة مسائل البرنامج.

تتضمن الطبعة الحالية النصين الأوليين «للبيان» الذين صدرا قبل أن يتخذ البيان شكله الحالي، وهما مشروع «تبني العقيدة الشيوعية»، و«مبادئ الشيوعية»، وكلاهما من تأليف إنجلس إضافة إلى الرسالة التي وجهها إنجلس إلى ماركس، والتي تطرح فكرة إصدار «بيان» بدلاً من أسلوب السؤال والجواب المتبع في الجمعيات السرية. وقد توجه البيان بخطابه إلى الحركة الجماهيرية ذات الأهمية التاريخية، وليس إلى طائفة سياسية.

يؤكد البيان أن قوى «أوربا العجوز» كلها قد اتحدت في حلف مقدس لمطاردة الشبح الذي يجول آنذاك، إنه شبح الشيوعية! فأي حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على السلطة بالشيوعية؟ وأي حزب معارض لم يلصق بدوره تهمة الشيوعية بالأحزاب المعارضة الأكثر تقدمية منه، كما بخصومه الرجعيين؟

ومن هذه الحقيقة يُستنتج أن الشيوعية أصبحت قوة بذاتها، ولذلك لابد أن يعرض الشيوعيين أمام العالم كله آراءهم، وأهدافهم، واتجاهاتهم، وأن يدحضوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه. ولهذه الغاية وُضع البيان الشيوعي الذي نشر باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والفلمنكية والدنماركية.

يقع الكتاب في 170 صفحة من القطع المتوسط.